المكتبة التاريخية

المغول والمماليك

السياسة والصراع

دكتور أحمد عبد المنعم



سياسة المغول الايلخانيين

تجاه دولة المماليك فى مصر والشام

(٧١٦-٧٣٦ هـ/١٣١٦-١٣٣٥م)

د. صبحى عبدالمنعم محمد

٢٠٠١



٦٠ شارع قصر العينى (١١٤٥١) القاهرة
تليفون ٧٩٥٤٥٢٩ - ٧٩٢١١٤٣ فاكس : ٧٩٤٧٥٦٦
٢٤ ميدان السيدة زينب
شارع سيله بن شهاب - المهندسين
تليفون ٧٤٩٢١٤٥ فاكس ٧٦٤٨٣٨١

العربى للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العينى (11451) - القاهرة

ت : 7954529 - 7921943 فاكس : 7947566

42 ميدان البصرة - شارع دجله من شهاب - المهندسين

ت : 7492145 وفاكس : 7618381

E-Mail:alarabi5@intouch.com

الطبعة الأولى

2000

سياسة المغول الايلخانيين

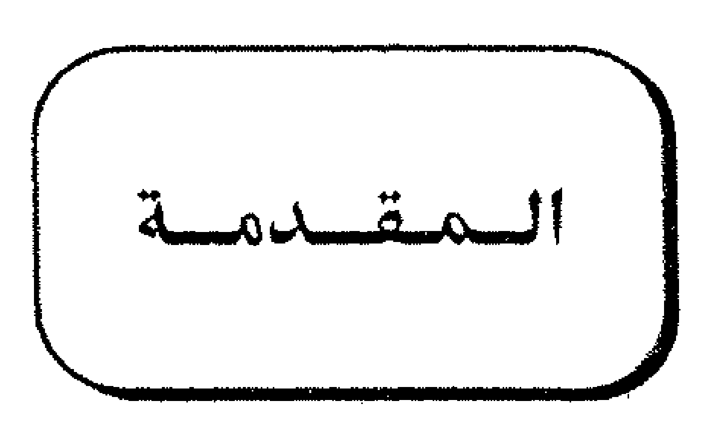
تجاه دولة المماليك فى مصر والشام

زمن الإيلخان أبى سعيد بن خدابنده

المؤلـــــف : د. صبحى عبدالمنعم محمد

الغلاف للفنان : مصطفى رمزى

عدد الصفحات : 135



المقدمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ورسول الخلق أجمعين، سيدنا محمد النبى الهادي الأمين، وبعد....

فهذا البحث يتناول سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك فى مصر والشام زمن الإيلخان أبى سعيد بن خدابنده حيث كانت علاقات المغول الإيلخانيين بالمماليك فى تلك الفترة تشكل بعداً حضارياً جديداً فى حياة الشعوب الإسلامية بصفة عامة والعناصر المغولية فى الشرق الإسلامي بصفة خاصة ويتضح ذلك فيما نلمسه عند دراسة أحوال هذه العناصر فى مرحلتين زمنيتين مختلفتين وغير متماثلتين من حيث الظروف التاريخية وأحداثها السياسية والعقائدية والاجتماعية.

ففي المرحلة الزمنية الأولى نرى المغول يهاجمون العالم الإسلامي ويدمرون مراكز الحضارة الإسلامية ويقيمون دولة لهم فى إيران والعراق، فأصبحت أملاك المغول الإيلخانيين تجاور أملاك الدولة المملوكية لذا كان الاحتكاك يقع بين الطرفين باستمرار، وأخذ الايلخانيون يهددون دولة المماليك فى مصر والشام.

وحاولت المسيحية الاستفادة من هذا الوضع الجديد عن طريق الاتصال بإيلخانات إيران والاستعانة بهم أملاً فى استرداد المُلك الضائع فى بلاد الشام ولتضرب دولة المماليك التى طردت الصليبيين من الشام تباعاً ثم تخلصت منهم.

ورغم اعتناق المغول الإيلخانيين الإسلام أيام غازان خان فإنهم ظلوا على عدائهم للمماليك واستمروا في تحالفهم مع البابوية والغرب المسيحي.

لكننا نجد أن هذه السياسة قد تغيرت في المرحلة الزمنية الثانية التي تبدأ بتولي الإيلخان "أبي سعيد" عرش إيران واتباعه سياسة المصالحة والمصادقة مع المماليك المسلمين والتخلي عن السياسة القديمة التي كانت تقوم على التحالف مع المسيحيين الأوروبيين ضد المماليك المسلمين.

ومما لا شك فيه أن سياسة التحالف والتعاون مع المماليك والتي انتهجها أبو سعيد قد أثبتت على وجه التأكيد أن المصالح الحقيقية للدولتين بصفة خاصة وللمسلمين بصفة عامة تكمن في ظل هذا التقارب والتآزر بدلا من التنازع والتناحر.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة، وتمهيد. وفي النهاية تأتي الخاتمة.

تناولت المقدمة أهمية الموضوع، والمنهج المتبع في دراسته.

وتناول التمهيد : قيام دولة المغول الإيلخانيين في إيران والعراق مستغلين في ذلك حالة الضعف التي ألمت بالمسلمين آنذاك.

وتناول المبحث الأول : العلاقات بين المغول الإيلخانيين والمماليك قبل أبي سعيد، وبين أن الإيلخانيين قد تحالفوا مع البابوية والغرب المسيحي ضد المماليك، وبخاصة في عهود أباقا وأرغون وبايدو، ورغم اعتناق المغول الإسلام فإن سياستهم العدائية للمماليك استمرت حتى زمن خدابنده والد أبي سعيد.

وتناول المبحث الثاني : سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك فى زمن أبى سعيد، ويبين هذا المبحث أن الإيلخانيين قد نجحوا فى التحالف مع المماليك زمن أبى سعيد وأهملوا التحالف القائم بينهم وبين البابوية والغرب المسيحي فلقى هذا التحالف الإخفاق الكامل، وكان للتعاون بين الإيلخانيين والمماليك نتائجه الطيبة والمثمرة على كل من الدولتين.

وتناول المبحث الثالث : أثر الاتصال المغولي المملوكى على الحياة الاجتماعية والثقافية وفيه يبين هذا المبحث أهم التحولات الحضارية التى تكشف عن تأثر كل من المغول والمماليك ببعضهم البعض ويتضح ذلك فيما نلمسه من مظاهر حضارية لدى الطرفين ظهر أثرها فى حياتهم الاجتماعية والثقافية.

ثم تأتى الخاتمة وفيها يسجل الباحث أهم النتائج التى توصل إليها والقضايا التي اشتمل عليها بحثه.

ولما كانت الملاحق ذات أهمية كبرى فى خدمة البحث فقد خصصت لها قسماً حوى عدة من الملاحق المتنوعة.

ولقد كان اعتماد الباحث فى هذه الدراسة على المصادر الأصلية فاستخلص منها المادة العلمية التى تدخل فى تكوين البحث بعد المقارنة بينها والأخذ من الأوثق منها.

والمصادر التى أفاد هذا البحث منها متعددة تشمل المخطوط والمطبوع ولا يتسع المجال هنا لذكر أهمية كل منها ولكن سنذكر بعض

المصادر التى لها أهمية خاصة ومن هذه المصادر كتاب "**نهاية الأرب فى فنون الأدب**" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣ هـ/ ١٢٧٨ - ١٣٣٣م) وقد اعتمد البحث على الجزأين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين وفيهما يتحدث النويرى عن المغول الإيلخانيين منذ عهد محمود غازان بن أرغون (٦٩٤ - ٧٠٣هـ / ١٢٩٥ - ١٣٠٣م) وحتى أواخر عهد أبى سعيد (٧١٦ - ٧٣٦هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٦م) وعلاقاتهم بسلطنة المماليك فى مصر والشام وبخاصة زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ففي الجزء الثاني والثلاثين يؤرخ النويرى للحقبة الزمنية التى تبدأ من سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م وتنتهي بنهاية سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وفيها تقع أحداث دولة السلطان الملك الناصر فى فترة حكمه الثانية اعتباراً من السنة الرابعة من ولايته إلى منتصف شوال من سنة ثمان وسبعمائة، وأحداث دولة الملك المظفر بيبرس المنصورى الجاشنكير والتي انتهت فى رمضان سنة تسع وسبعمائة ثم الفترة الثالثة من حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى نهاية السنة الحادية عشرة من ولايته وهى سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م بالإضافة إلى بعض الأحداث التى وقعت فى مناطق أخرى من العالم الإسلامى.

ويتناول الجزء الثالث والثلاثون الفترة من سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م إلى سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م وهو آخر أجزاء الكتاب وفيه يواصل النويرى الكلام عن أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد مضى على منهجه فى ذكر الوقائع والأخبار ووفيات الأعيان سنة بعد أخرى، وأعطى البحث مادة غزيرة عن علاقات أبى سعيد بالناصر محمد بن قلاوون.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن النويرى قد عايش كل الأحداث التى وقعت فى الفترة التى سجلها إما عن مشاهدة أو سماع ممن شاهدها أو نقل عن رسائل ممن شهدها، مما يجعلنا نقول : إن النويرى لم يكن فيما أورده من تاريخ هذه الفترة مؤرخا فحسب، بل كان شاهداً على عصره، وواحداً من رجال هذه الدولة حيث قربه إليه الناصر محمد بن قلاوون فكانت له عنده مكانة كبيرة حتى أوكله فى بعض الأمور، وتقلب النويرى فى الوظائف الديوانية فولى نظارة البيمارستان المنصورى، ونظارة الجيش فى طرابلس، ونظارة الديوان فى إقليم الدقهلية فأتاح له موقعه أن يشهد من الحوادث ويعرف من الأخبار ما ضمنه كتابه فى تاريخ هذه الفترة.

وقد استفاد البحث أيضا من كتاب "**المختصر فى أخبار البشر**" لصاحبه أبى الفداء (الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الأفضل علي بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م، ويعد كتابه أيضا من أوثق المصادر التى تناولت تاريخ السلطان الناصر محمد بن قلاوون وعلاقاته مع المغول الايلخانيين على امتداد سنوات حكمه الطويل وذلك للمعاصرة والصداقة بينهما وقد ذكر أبو الفداء انه شاهد رسل الإيلخان أبى سعيد عند حضورهم إلى مقر السلطان الناصر فى قلعة الجبل سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م فيقول : "وحضرت بين يدي السلطان بقلعة الجبل مستهل ذي الحجة فبالغ فى أنواع الصدقات على وعلى من كان معي وعلى ولدى، ووصل وأنا هناك رسل أبى سعيد ملك التتر......".

ولهذا يعد كتابه من الكتب المهمة لتلك الفترة حيث كان أبو الفداء شاهد عيان لكثير من الأحداث والوقائع.

وقد استفاد البحث من كتاب "**نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**" لصاحبه اليوسفي (موسى بن محمد بن يحيى) ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م وهو الذي نقل عنه كثيرون من مؤرخي العصر المملوكي أمثال المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) والعيني (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) وغيرهم، فقد استفاد هذا المؤرخ من صداقته للأمير سيف الدين أيتمش المحمدي المغولي الأصل (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) والذي أرسله الناصر محمد بن قلاوون رسولاً عنه إلى الإيلخان أبى سعيد عدة مرات فيذكر اليوسفي أن صداقته لهذا الأمير تعود إلى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م فقد وفر له سبل الاتصال بكبار رجالات العصر، بالإضافة إلى أنه كان بمثابة المصدر الوثيق لكثير من المعلومات عن دولة المغول ويقول اليوسفي عنه "... وكان من المحسنين إلىَ وسبب تكبيري بين الناس وقدمنى للسلطان دفعتين، والنائب، حتى نلت منه كل خير وسمعت من الغرائب ما استعنت به على هذا التاريخ وغيره من أمور كانت تتفق له مع السلطان....".

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب وما جاء فيه من أخبار عن المماليك والمغول الايلخانيين.

كما استفاد البحث من كتاب " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" للرحالة المغربي ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي) ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م وقد قام برحلته في سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م وزار فيها جميع ديار الإسلام بالإضافة إلى سيلان والهند والصين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والقوقاز وبلاد البلغار كما زار خوارزم، وبخارى وسمرقند وترمذ من بلاد ما وراء النهر، وبلخ وهراة وطوس ونيسابور من خراسان وقد التقى ابن بطوطة بالايلخان أبي سعيد سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م عند زيارته لمدينة تبريز حيث استقبله أبو سعيد وأمر له بالزاد والركوب إلى بلاد الحجاز ضمن موكب المحمل الإيلخاني.

وقد أمد هذا الكتاب البحث بمادة وافرة عن الناحية الاجتماعية لدى المغول الإيلخانيين، وكانت مشاهداته واتصالاته ومواقفه تصور الواقع تصويرا واضحا.

ومن المراجع الحديثة التي استفاد منها البحث :

- **كتاب الشرق الاسلامي في عهد المغول الايلخانيين** (أسرة هولاكو) للدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد وهو كتاب ذو قيمة كبيرة لاعتماده على كثير من المصادر الفارسية والمراجع المهمة، ويبدأ من تاريخ أباقا بن هولاكو (٦٦٣ - ٦٨٠هـ / ٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٨١م) ويمتد إلى نهاية الإيلخانيين في إيران والعراق، وقد أثرى البحث عند حديثه عن الإيلخان أبي سعيد بن خدابنده.

- **كتاب تاريخ الدولة المغولية في إيران** للدكتور عبدالسلام عبدالعزيز فهمي ويعرض فيه لحياة المغول وصفاتهم ونظمهم ويتحدث عن حملاتهم منذ جنكيز خان وحتى حملة هولاكو على بغداد ومسيره إلى أرض الجزيرة والشام ثم حكم الإيلخانيين من تاريخ أباقا حتى سقوط دولتهم في إيران.

- **إسلام الإيلخانيين** للدكتور محمد أحمد محمد وهو كتاب صغير الحجم يتناول فيه سياسة التوسع المغولي في الدولة الإسلامية حتى نهاية عهد هولاكو وتأسيس دولة المغول الإيلخانيين ثم يتحدث عن اعتناق الإيلخانيين الإسلام خلال مرحلة انتقالية استغرقت ما يقرب من ثلاثين عاماً ثم يتحدث في الفصل الأخير من الكتاب عن التحولات الحضارية التي تكشف عن تأثر المغول بالإسلام وحضارته.

واستفاد البحث أيضاً من الدوريات وبخاصة مقال الدكتور على السيد على محمود عن : "**الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي**" وقد جاء هذا المقال في مجلة المؤرخ المصري التي يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

ولقد اعتمد البحث على الكثير من كتابات المؤرخين من أمثال :

- ابن أيبك الدواداري (ت بعد ٧٣٦هـ / ١٢٣٥م).
- عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ٤١٨م).

- تقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١).

- أبو المحاسن ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

وغيرهم من جملة المصادر المهمة التى اعتمد عليها البحث أما بقية المراجع فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : يشمل المعاجم اللغوية ودوائر المعارف وكتب السير والتراجم وكتب التاريخ العام

القسم الثاني : يشمل المراجع العربية والأجنبية التى تحدثت عن موضوع البحث.

القسم الثالث : ويشمل الدوريات المتعلقة بموضوع البحث وستأتى هذه المصادر والمراجع مبينة فى قائمة المراجع والمصادر فى نهاية البحث.

وإني لأرجو - من وراء هذا البحث - أن أكون قد وفقت إلى قريب من الصواب وأن لا يحرمنا الله - سبحانه وتعالى - جزاء هذا العمل فى الدنيا والآخرة.

التمهيد

قيام دولة المغول الإيلخانيين

بعد أن تولى منكوبن تولوى زمام الأمور فى الدولة المغولية سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م[١] قرر فى اجتماع مجلس الأمراء(القوريلتاى)[٢] الذي انعقد في العام التالى أن يتولى أخوه الأصغر هولاكو النيابة عنه فى إدارة حكومة إيران، فتلقى هولاكو من أخيه رسالة تقضى بالتخلص نهائياً من طائفة الإسماعيلية فى مازندران والخلافة العباسية فى بغداد فضلاً عن فتح الشام.[٣]

وقد حرص منكو على أن يتوفر لحملة أخيه ما يحقق لها النصر فأمده بكثير من القوات المدربة التى يتميز أفرادها بالمهارة فى استخدام أدوات الحرب مثل المنجنيق وقاذفات النفط ورمى السهام ووصل تعداد هذا الجيش إلى ما يقرب من ١٢٠,٠٠٠ جندي من خيرة محاربي المغول.[٤] وخرج هولاكو على رأس جيشه من عاصمة المغول "قراقورم" سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م حتى وصل إلى إيران واستطاع أن يخضعها لسلطانه سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م، وفى العام التالى فتح قلعة "الموت"،

---

[١] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص ٤١٢.

[٢] القوريلتاى: مؤتمر رؤساء القبائل والقواد ويعقد لدراسة قضايا الدولة العامة ولاسيما الإرث والحرب.

محمد التونجى:التيارات الأدبية إبان الزحف المغولى ط١ ١٩٨٧م دار طلاس للنشر- دمشق ص٣٥.

[٣] السيد الباز العرينى : المغول ص ٢٠٧.

[٤] خليل ادهم: تاريخ الدول الاسلامية ٤٨٠/٢.

وحطم المغول ما وجدوه من الأسلحة وأدوات القتال التى كانت لدى الإسماعيلية هناك وبذلك سقطت دولة الإسماعيلية الباطنية بعد أن استمرت ١٧١ عاماً تثير الفزع والرعب فى العالم الإسلامي[١] ليحل محلهم المغول الذين انتقلوا إلى همذان وعسكروا فيها ليكونوا بالقرب من العاصمة العباسية بغداد ليعدوا العدة لفتحها.[٢]

ويبدو أن هولاكو طمع فى أن ينشئ لنفسه بوصفه تابعاً لأخيه منكو إمبراطورية خاصة فى الغرب أو لعل أخاه الخاقان قد أوعز له بذلك ليستمر فى بيتهم الملك والسلطان.

وحقق هولاكو هدفه الأول بالقضاء على الإسماعيلية وجعلها عبرة لمن يفكرون فى مقاومته ثم سار إلى بغداد لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية وفتح بغداد.[٣]

وفى التاسع من المحرم سنة ٦٥٦هـ / السادس عشر من يناير سنة ١٢٥٨م وصلت جيوش هولاكو إلى بغداد وأعمل السيف فى أهلها لمدة أربعين يوماً فقتل المغول من المسلمين عدداً كبيراً وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله وكثير من آل بيته ولم ينج من أيديهم إلا العدد القليل.[٤]

وبسقوط بغداد تأسست دولة مغول إيران ليحكمها هولاكو وأبناؤه من بعده بعد أن اختار مدينة مراغة فى أذربيجان عاصمة له[٥] وسميت

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢.
(٢) عصام شبارو: السلاطين فى المشرق العربى ص ٥٠.
(٣) عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية فى إيران ص١١٦.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية فى التاريخ ٧ / ١٨٦ – ١٨٧.
(٥) عصام شبارو: السلاطين فى المشرق العربي ص ٥٠.

بالدولة الايلخانية[١] وصارت أملاكها تجاور أملاك سلاطين المماليك فى مصر والشام فكان لابد من أن يقع الاحتكاك والصدام بين الطرفين، وبخاصة أن الإيلخانيين أخذوا يهددون المماليك بعد فتح بغداد، وحاولت المسيحية الاستفادة من هذا الوضع الجديد[٢] بأن تستعين بإيلخانات إيران لتسترد نفوذها الضائع فى بلاد الشام ولتضرب دولة المماليك التى طردت الصليبيين وتخلصت منهم[٣] كما ذكرنا من قبل.

فيذكر المؤرخ الإيراني عباس إقبال نقلاً عن المؤرخ الأرمنى "هيتون" أن خطة الحملة المغولية على بلاد الشام قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وبين تابعه الارمنى هيثوم ملك أرمينية المسيحى، وبوهيمند السادس أمير أنطاكية الصليبى، وطلب هولاكو من هيثوم أن يسير بجيشه إلى الرها بحجة تخليص الأرض المقدسة من المسلمين وردها إلى المسيحيين، وجمع الملك الأرمنى جيوشه، وانضم إلى هولاكو، وقدم البطريرق الأرمنى ليمنح البركة لهولاكو وجيشه واتخذت حملة هولاكو الأرمنية المغولية سمات الحرب الصليبية.[٤]

---

[١] يعود إطلاق اسم الإيلخانيين على هذه الدولة إلى كلمة " إيل " المغولية وهى بمعنى خاضع أو مطيع وبذلك تكون كلمة إيلخان معناها المطيع للخاقان أو تابع الخان الأعظم أو هو الذى يمثله ويدين له بالولاء، لأن هولاكو كان يحكم من قبل أخيه الخاقان أو الخان الأعظم الذى كان يقيم فى قراقورم فهو لم يملك ملكا مستقلاً، بل كان نائبا عن أخيه منكوقا آن، وقد انتقل هذا اللقب إلى خلفائه واكسب دولتهم اسم دولة الإيلخانيين فى إيران. (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ص ٢٧، دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ص ٦٦).

[٢] مصطفى طه بدر : مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، دار الفكر العربى (بدون تاريخ) ص٦.

[٣] ابتهج المسيحيون فى كل مكان بسقوط بغداد ووضحت صور التعاون وضوحا كاملاً بين هولاكو وبين المسيحين فى غرب آسيا أثناء غزوه بلاد العراق فقد كانت جيوشه تتضمن وحدات عسكرية من الأرمن والكرج والمسيحيين واستمر هذا التعاون أثناء غزو هولاكو بلاد الشام (رجب محمد عبد الحليم : انتشار الإسلام بين المغول ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص ٤٤).

[٤] عباس إقبال : تاريخ إيران ص ٤٤١ ح١.

ومما دفع المغول إلى غزو بلاد الشام أيضاً انها تعد الطريق المؤدى إلى مصر ومنها إلى ساحل شمال إفريقية حتى المحيط الأطلسى، وكان يتوجب على الغزاة أن يحكموا قبضتهم على بلاد الشام بأسرها سواء فى الداخل أو على الساحل الشرقى للبحر المتوسط حتى يسهل عليهم السيطرة علي مصر ومن يسيطر علي بلاد الشام ومصر معاً يتمكن من السيطرة على المشرق العربى الإسلامى كله وتفتح أمامه أبواب المغرب العربى ثم الأندلس التى تعد بوابة غرب أوربا.[١]

ولم يكتف هولاكو بتحالفه مع هيثوم ملك أرمينية، وبوهيمند السادس أمير أنطاكية، بل أراد التحالف مع كل الصليبيين، وأرسل رسالة إلى الصليبيين فى غرب آسيا جاء فيها: "لدينا أعداد كبيرة من المسيحيين بين عشائرنا وقد جئنا بقواتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ومن الضرائب التى فرضها عليهم المسلمون، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحين معاملة تليق بهم فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم، ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء جميع الكنائس التى خربها المسلمون".[٢]

وبعد أن تحالف المغول مع المسيحيين بدأ تحرك الجيش المغولى من أذربيجان إلى بلاد الشام فى رمضان سنة ٦٥٧هـ / سبتمبر ١٢٥٩م، وأبدى الملك الكامل محمد الأيوبى صاحب ميا فارقين[٣] ضروبا من

---

[١] عصام شبارو : السلاطين فى المشرق العربى ص ٥٨.
[٢] عباس إقبال : تاريخ إيران ص ٤٤١.
[٣] مدينة ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر(انظر صفى الدين البغدادي : مراصد الاطلاع ١٣٤١/٣ ط أولى ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م دار المعرفة للطباعة والنشر - ط بيروت.

البطولة والشجاعة في مواجهة الحملة المغولية مما أدى إلى إطالة حصار المدينة لمدة عامين تمكن المغول خلالها من الاستيلاء على نصيبين وحران، والرها حتى بلغوا البيرة ثم عبروا الفرات واستولوا على سروج واستباحوا منبج.[1]

ولما طال أمد الحصار واشتد على مدينة ميافارقين اضطر الملك الكامل محمد إلى الاستسلام بعد أن انتشر الوباء ونفدت المؤنة، وهلك معظم السكان فدخل المغول المدينة وقتلوا الملك الكامل محمد[2] ثم تقدموا نحو حلب وحاصروها إلى أن اضطرت إلى التسليم مع قلعتها في صفر سنة ٦٥٨هـ / يناير سنة ١٢٦٠م.[3]

وواصل المغول تقدمهم في بلاد الشام فسقطت قلعة حارم قرب أنطاكية، وحماة، والمعرة، وحمص، وتقدم الجيش المغولي نحو دمشق التي استسلمت في ربيع الأول سنة ٦٥٨هـ / مارس ١٢٦٠م.[4]

وسنحت الفرصة للمسيحيين للانتقام من المسلمين وأحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم وقالوا جهرا ظهر الدين الصحيح دين المسيح[5] فشكي المسلمون أمرهم لنائب هولاكو (كتبغا) وكان هذا الرجل من قبيلة مغولية اعتنقت المسيحية، فلم يستجب لمسلمي دمشق، بل أهانهم،

---

(١) أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر ط بيروت (بدون تاريخ) ٣ / ١٩٩.
(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر٢ / ٢٠٥ – ٢٠٦ ط القاهرة ١٢٥٨هـ/١٨٦٨م.
(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ / ٢٠٠ – ٢٠١ .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،٢ / ٣٩٤ تحقيق جمال الدين الشيال – القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
(٥) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٤٢٥ مصر سنة ١٩٣٦م.

وضرب ببعضهم وعظم من قدر النصارى وشجعهم، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعائرهم[1] لأنه كان مسيحيا نسطوريا.

وبعد فتح دمشق استولى المغول على بعلبك وبانياس وتابعوا زحفهم جنوبا حتى غزة فاستسلمت حامية عجلون وخربواحوران ونابلس، وبذلك دانت لهم معظم بلاد الشام[2] وصار المغول مسيطرين على ممالك إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام بالإضافة إلى الإمارات المحلية في هذه البلدان وبدءوا يتجهون صوب مصر حتى يسهل عليهم تثبيت أقدامهم في بلاد الشام كما حاول الصليبيون من قبل فقد تأكد هولاكو تماماً أن خروج مصر عن دائرة سيطرة المغول يعنى بقاءها نقطة انطلاق للهجوم الرئيسي عليهم.

وشاءت الظروف التاريخية أن يواجه المماليك في مصر وحدهم هذا التحالف المغولي المسيحي فتمكنوا من التصدى للمغول والحيلولة دون تحقيق أهدافهم وأنزلوا بالمغول هزيمة كبيرة في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م[3] فكانت أول هزيمة ساحقة تلحق بجيوش المغول العاتية، ونجح المماليك في إقامة سد منيع حال دون تقدم هؤلاء الغزاة إلى سواحل البحر المتوسط، وحفظوا بقية العالم الإسلامي من السقوط في أيدى المغول[4] ومات هولاكو سنة ٦٦٣هـ بعد أن كون إمبراطورية

---

[1] عباس اقبال: تاريخ أيران ص ٤٤٣.
[2] عصام شبارو : السلاطين في المشرق العربي ص ٦٢.
[3] فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي في عهد المغول الإيلخانيين ص ١٣.
[4] المرجع السابق نفسه.

تكاد تمتد من نهر جيجون إلى البحر الأبيض ومن قافقاسيا إلى المحيط الهندى.[١]

غير أن هولاكو الذى هُزم جيشه أمام المسلمين فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ تلقى هزيمة أخرى أمام جيش بركة خان المغولي – حاكم غير أن هولاكو الذى هُزم جيشه أمام المسلمين فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ تلقى هزيمة أخرى أمام جيش بركة خان المغولي – حاكم القوقاز سنة ٦٦١ هـ عند نهر"ترك"، وكان بركة خان قد أسلم وشرع فى التحالف مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر، وتبادل معه السفارات، وأبدى غضبة من الطريقة التى عومل بها خليفة المسلمين فى بغداد.

---

[١] المرجع السابق ص ١٤.

المبحث الأول

العلاقات بين المغول الإيلخانيين والمماليك

قبل أبي سعيد

كانت العلاقات بين المغول الإيلخانيين والمماليك عدائية وأستمر الصراع بين الطرفين طويلاً وتحالف فيه المغول مع الغرب المسيحي ضد المماليك المسلمين ثم توقف ـراع مرة واحدة حينما اعتنق الإسلام الإيلخان أحمد تكودار وسعي ، خلق علاقات طيبة مع المماليك.

ولم تستمر هذه العلاقات الودية سوى عامين قام بعدها أمراء المغول وعلى رأسهم أرغون بن آباقا بقتل الايلخان تكودار، وعاد الصراع مرة أخرى واستمر رغم انتشار الإسلام بين المغول وهذا ما سوف نتناوله بالبحث والدراسة في هذا المبحث.

أولاً : التحالف المغولي المسيحي ضد سلاطين المماليك

لما مات هولاكو قامت زوجته المسيحية دوقوزخاتون Dokus Khatan. بتنصيب أبنه أباقا (أبغا) (٦٦٣– ٦٨٠هـ / ١٢٦٥– ١٢٨٢م) خلفا لأبيه، وكان هذا الابن متزوجا هو الآخر بابنة أحد أباطرة الروم

الشرقيين فقرب إلية المسيحيين متأثرا بنفوذها ونفوذ أمه المسيحية، وجعل منهم وسيلة لقتال مسلمى الشام ومصر الذين كانوا فى جهاد مع الصليبيين المسيحيين.[١]

وأحيا أباقا الفكرة القديمة التى ترمى إلى إرسال رسل إلى بلاط ملوك أوروبا والبابا مقترحا عقد حلف عسكرى بين الشرق والغرب ضد المصريين المسلمين.[٢]

وجهز أباقا جيوشه ووجهها نحو عينتاب سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، ثم حاصر قلعة البيرة فأسرع السلطان المملوكى الظاهر بيبرس لنجدتها ثم أعد حملة لمواجهة المغول فى موقعة حاسمة.

وسار فى سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م وهو يحمل معه عدة مراكب مقسمة الأجزاء على ظهور الجمال وأنزلها نهر الفرات وعبر بواسطها مع جيشه وأنزل الهزيمة بالمغول. فأمن بذلك الحدود الشرقية لدولة المماليك من الخطر المغولي.

ثم توجه الظاهر بيبرس نحو قيليقية (أرمينية الصغرى) حليفة المغول فى سنه٦٧٣هـ / ١٢٧٤م فهزم الجيش الارمينى[٣] وعاد إلى مصر، وحاول أباقا محاصرة البيرة واحتلالها سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م لكنه فشل فى ذلك.[٤]

---

(١) عباس إقبال : تاريخ إيران ص ٤٤٥.
(٢) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٦٧.
(٣) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ج ١ / ٣٨.
(٤) عصام شبارو: السلاطين فى المشرق العربى ص ٨١.

ولقد واصل بيبرس تحركه لتأمين الحدود الشمالية لدولته وهى تتاخم دولة سلاجقة الروم التى أعلنت تبعيتها للمغول، ثم تقدم نحو آسيا الصغرى وتمكن من هزيمة الجيش المغولى واعوانه من المسيحيين بالقرب من قيسارية فى الأبلستين ٦٧٥هـ[١] وخسر المغول فى هذه المعركة ما يقرب من سبعة آلاف جندى على رأسهم قائدهم تناون.[٢]

وثار أباقا عند سماعه خبر هزيمة الأبلستين وتحرك بنفسه إلى بلاد الروم وأمر بقتل الكثير من المسلمين انتقاما لقتلى المغول[٣] ويذكر المقريزى أن أباقا قتل من مسلمى بلاد الروم ما يزيد عن مائتى ألف نفس انتقاما لهزيمة أبلستين[٤]، ولم يقتل أحدا من النصارى[٥] لكن بيبرس لم يلبث أن توفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ليتولى السلطان المنصور قلاوون الحكم فيواصل سياسة التصدى للتحالف المغولى المسيحى ضد الدولة المملوكية.

وأتى أباقا مع أخيه منكو تيمور - وكان مسيحياً نسطوريا - للهجوم على الدولة المملوكية وسار أباقا نحو الرحبة[٦] فى عدد كبير من جنده بينما سار أخوه منكو تيمور نحو حمص ٦٨٠هـ/١٢٨١م[٧] فى جيش مكون من

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٤٧.
(٢) عصام شبارو: السلاطين فى المشرق العربى ص ٨١.
(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٤٧.
(٤) البستان وأبلستان وابسلتين: مدينة مشهورة ببلاد الروم تقع شرق قيسارية، وهى من مدن الثغور أيام الروم وتقع حاليا جنوب تركيا (دائرة المعارف الإسلامية ٧١٠/٢ صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع ١٨/١، كى ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٩).
(٥) المقريزى: السلوك ٦٣٣/٢/١.
(٦) الرحبة: مدينة على شاطئ الفرات بين الرقة وبغداد (كى ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٧،١٣٦)
(٧) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٤٧.

خمسين ألف جندى من المغول والباقي من بلاد الكرج (جورجيا) والروم والأرمن والفرنج.[1]

وكان ملك الأرمن يحارب بنفسه مع جيوش المغول في تلك الموقعة[2] لكن السلطان قلاوون تمكن من هزيمة الجيش المغولى هزيمة ساحقة وهرب المغول والجيش المملوكى من خلفهم يطاردهم قتلاً وأسراً وفرّ منكو تيمور نحو أخيه أباقا الذى أضطر لرفع الحصار عن الرحبة والعودة حزيناً إلى بغداد، ولم تسنح له الفرصة بعد ذلك لمهاجمة بلاد الشام حيث مات وتولى بعده أخوه تكودار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م) الذى تسلم إيلخانية إيران لكنه اتبع سياسة تخالف سياسة أخيه.

ثانيا: إسلام تكودار وتوقف الصراع بين المغول والمماليك

كان أباقا يميل إلى أن يخلفه ابنه إرغون، وبما أن ميله هذا يخالف الياسا الجنكيزية التى تحكم بأن يلى السلطة أرشد الأمراء رفع أمراء المغول أخاه تكودار إلى العرش.[3]

وكان تكودار قد عمد فى شبابه على دين المسيح لكنه بعد اختلاطه بالمسلمين أخذ يميل شيئاً فشيئاً إلى الإسلام فاتصل بالأمراء والرجال المسلمين، ثم أعلن إسلامه وتسمى بأحمد خان[4] وراسل المماليك

---

[1] المقريزى: السلوك ٦٩١/٣/١-٦٩٥.
[2] ابن حبيب: تذكرة النبيه ٦٢/١-٦٣ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٩٨/٧-٢٩٩.
[3] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٤٩.
[4] المرجع السابق.

وأمراء الشام، وعلماء بغداد وكبارهم يخبرهم بإعلان إسلامه وبداية عهده على المودة والحب.[1]

وفي رسالته إلى بغداد أظهر نفسة على أنه حامى الإسلام وتابع شريعة الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم[2]، ودعا أهل بغداد إلى السير طبقاً للشريعة الإسلامية، وإظهار شعائر الإسلام، كما أمر بأن تترك لهم حرية العمل بسائر الشعائر الدينية حسبما اعتادوا منذ أيام خلفاء بنى العباس، وبين لهم أنه يعرف أن النصر دائماً للإسلام، وهو كلام يدل فى وضوح على مدى صدقه في إسلامه وحبه لدينه الجديد.[3]

وأرسل في جمادى الأولى سنه ٦٨١هـ/ أغسطس ١٢٨٢م إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون سفارة كتبيرة يخبره فيها بإسلامه والإخلاص لمبادئه، وتظهر حرصه على حقن دماء أهله، وحفظ أراضيه، ويبين فيها أنه أرسل بعض المشايخ لدعوة المغول إلى الإسلام، وأنه أمر ببناء المساجد والمشاهد والمدارس والربط التى كان قد أصابها الدمار والخراب، كما أمر برعاية أوقاف المسلمين وبتجهيز الحجيج وتأمين سبلهم وحماية قوافلهم ثم ختم رسالته بالتماس إلى السلطان المملوكي يطلب فيه محالفته والصلح معه حتى تعمر البلاد وتخمد الفتنه، وتغمد السيوف وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهوان.[4]

---

(1) Sykes Sir Percy: A History of Perrsia, London, 1963. P. 159.

(2) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٥٠.

(3) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول ص ١٨٠.

(4) المقريزى: السلوك ٣٧٨/٣/١-٣٨٤، القلقشندى: صبح ا لأعشى ٦٥/١-٦٨، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٦١-٢٦٢.

وذكر أيضاً أن رجاله وجدوا جاسوساً في زي الفقراء فقبضوا عليه، ولم يقتلوه، بل أعادوه إلى بلاد الإسلام مراعاة للسلطان، وليكون ذلك دليلاً على حبهم في السلام ورغبتهم فيه، قال: أنه لا داعي لإرسال الجواسيس بعد أن يتم الاتفاق ويعقد الصلح.[1]

وقد وصلت رسالة تكودار مع رسولين هما قطب الدين محمود الشيرازي قاضي سيواس[2]، وأتابك السلطان مسعود سلطان سلاجقة الروم.[3]

وقد رد السلطان المملوكي المنصور قلاوون علي رسالة إيلخان المغول بكتاب في رمضان سنة ٦٨١هـ/ ديسمبر ١٢٨٢م وهنأه على اعتناقه دين الإسلام مما أذهب الأحقاد وأزال الجفاء والعداء بين البلدين.[4]

وأرسل تكودار وفداً آخر في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م يحمل رسالة مكتوبة باللغة العربية يستحث فيها السلطان المملوكي على عقد معاهدة الصلح بينهما.[5]

وقد نتج عن هذه العلاقات الطيبة أن استقر السلام بين المماليك ومغول إيران في زمن تكودار مما يدل على صدقه في طلب الصلح وتحقيق السلام وخدمة الإسلام.[6]

---

[1] فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٢٣.
[2] ابن خلدون: العبر ٥/٥٤٦- بيروت ١٣٩٩هـ سنه ١٩٧٩م.
[3] المصدر السابق.
[4] القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٢٣٧-٢٤٢، المقريزي: السلوك ١/٣/٧٠٧-٧٠٨
[5] ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص٤٣١-٤٣٢، المكتبة العربية - بغداد ١٣٥١هـ.
[6] رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول ص ١٨٣.

وبذل تكودار غاية جهده في نشر الإسلام بين المغول مشجعاً لهم بالهبات والهدايا وألقاب الشرف حتى أسلم على يديه كثير منهم، وقرب إليه علماء الدين ومشاهير الأعلام من المسلمين[١] كما عمل على الاهتمام بدور العلم والعلماء فأعاد بناء ما خرب من المدارس وأمر ببناء مدارس أخرى جديدة فضلاً عن المساجد واهتم بنظم الأوقاف حيث خصص لها المباشرين وعنى عناية خاصة بمتابعة مستغلاتها تعويضا لما أصابها من خراب وضياع على أيدي المغول أيام هولاكوخان[٢] واهتم بتجهيز قوافل الحجاج والإنفاق على الأماكن المقدسة بالحجاز.[٣]

ثالثاً: مقتل تكودار وقيام الحرب الباردة بين المغول والمماليك:

كان لأعمال تكودار أثر طيب في نفوس المسلمين، إلا أنها من جانب آخر أثارت عليه رجال البلاط المغولي الذين وجدوا فيما انتهجه خروجاً على ما ألفوه من نظم وعرف قبلي، ولم يروا غضاضة في العمل على إقصائه، وتحالفوا مع أرغون بن أباقا الذى كان يدبر للوصول إلى العرش خلفاً لأبيه[٤] وانتهى الأمر بعد منازلات حربية إلى قتل الايلخان أحمد تكودار.[٥]

---

[١] محمد أحمد: إسلام الايلخانيين ص ٥٨.
[٢] عباس إقبال: تاريخ إيران ٤٥٠.
[٣] المرجع السابق نفسه.
[٤] المرجع السابق ص ٤٤٩.
[٥] شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ص ٧٠.

وأقبل المغول على ابن أخيه أرغون ونادوا به إيلخاناً[١] وإن كان إقصاء تكودار عن منصبه لا يقلل من أهمية تلك الجهود التى أحرزها فى الجبهة الإسلامية وبخاصة تقاربه مع المماليك فى مصر والشام.

وعلى الرغم من أن إسلام تكودار كان له طابعه المرحلي إزاء أحكام الياسا الجنكيزية وطغيان الشامانية والبوذية على معظم العناصر المغولية فأنه بطبيعة الحال قد مهد لظهور قاعدة راسخة بين طوائف المغول أسهمت فيما بعد فى خلق جيل جديد من العناصر المغولية الراغبة فى هضم مبادئ الإسلام[٢] وإن تعرضت هذه العناصر لمحاولات من الضغط عند تولى أرغون بن أباقا (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-٩٥-١٢٩٦م) الذى اشتد فى إيذاء المسلمين فلاقوا الأمرين على أيدى البوذيين المنتصرين وأخذوا يتعرضون للقهر والظلم الشديد.[٣]

ولم يكتف أرغون بالضغط على العناصر المسلمة فى داخل إيران، بل إنه لجأ لسياسة التحالف مع الصليبيين لضرب دولة المماليك ففي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٥م أرسل إلى البابا هونوريوس الرابع فلم يستجب له لعجزه عن عقد تحالف مغولى صليبى، فأرسل أرغون سفارة برئاسة رين صوما سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٧م إلى الإمبراطور البيزنطى أندرونيكوس الذى أبدى استعداده لمساعدة المغول، كما أرسل إلى فيليب الرابع ملك فرنسا الذى وعده بالقيام بحمله لاسترداد بيت المقدس[٤] لكن أرغون لم

(١) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو ٣/١٣٠، حبيب الله شاملونى: تاريخ إيران ص ٥٠٤-٥٠٥.
(٢) محمد أحمد: إسلام الايلخانيين ص ٥٧.
(٣) شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ٧٠.
(٤) Saunders (J.J); The history of the Mongol Conquests, London, 1971 P.9.

يحصل على نتيجة إيجابية واتفاق معين لتنفيذ مشروعه فأرسل سفارة ثانية سنه ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ثم سفارة ثالثة سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م برئاسة بوسكاريل جيزولف إلى البابا وفرنسا وإنجلترا لكنه لم يجد تعاوناً حقيقياً منهم، وبخاصة بعد سقوط عكا آخر المعاقل الصليبية بيد السلطان المملوكي الأشراف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م.[١]

وأراد أرغون أن يضرب المماليك فى اتجاه آخر بعد فشله فى تحقيق التحالف المغولي الصليبي ففكر فى إرسال حملة عسكرية لمهاجمة الحرمين الشريفين فى ٦٩٠هـ[٢] وتحويل الكعبة إلى معبد بوذى[٣] لكنه أصيب بالمرض، وتوفى فى هذا العام.[٤]

ورغم ذلك فإنه يمكن القول إن الحدود بين مغول إيران زمن أرغون وبين المصريين وكما يقول شبولر كانت هادئة آمنة[٥] فلم نرمن خلال المصادر والمراجع المتاحة أية حوادث تذكر بين الطرفين.

بعد وفاة أرغون أعتلى عرش الايلخانية كيخاتوبن أباقا (٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١ : ٩٤-١٢٩٥م)، ولم تكن حالة دولة مغول إيران فى هذه

---

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ٦٧٣/٣-٦٧٦، ترجمة السيد الباز العرينى - بيروت ١٩٦٩م.

(٢) يبدو أن أرغون كان يعلم مدى ارتباط مصر بالحجاز هذا الارتباط الذى استمر لفترة طويلة منذ عهد الاخشيديين حيث كانت الدولة المصرية تشمل مصر والشام والحجاز، واستمر هذا الارتباط طوال عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك فقد كانت القوى السياسية التى تظهر فى مصر تسعى للإشراف على الحجاز لتحظى برعاية المقدسات الإسلامية ولتستكمل ركناً من أركان سيادتها فى العالم الإسلامى، وكان صاحب مصر معنياً بأمر الحجيج ويقوم على المسجد الحرام والمسجد النبوى، ومزارات المسلمين صبحى عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز ص ٣٠٩.

(٣) خواند مير: دستور الوزراء ص ٣٦٣.

(٤) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٥٤.

(٥) شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ٧١.

الفترة تسمح لها بمتابعة سياسة الغزو والإغارة على بلاد الشام لأسباب من أهمها الصراع الداخلى بين الأمراء المغول حول الاستيلاء على العرش، وكان كيخاتو بعد أن خلف أخاه أرغون سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م قد أسرف فى إنفاق الأموال الكثيرة على ملذاته[١] حتى نضبت خزائنه مما أدى إلى ضعف دولته[٢] فاضطر هذا الإيلخان إلى اللجوء لأسلوب الحرب الباردة مع المماليك فأرسل رسولاً إلى السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون بكتاب يتضمن المطالبة بحلب لأن أباه هولاكو كان قد فتحها من قبل ويهدد بأنه إذا لم يسمح له بذلك فسوف يقوم بغزو بلاد الشام فأجابه السلطان الأشرف بقوله: إنه قد وافق القان ما كان فى نفسي فإنى كنت على عزم من أخذ بغداد وقتل رجاله فإنى أرجو أن أردها دار إسلام كما كانت وسينظر أينا من يسبق إلى بلاد صاحبه.[٣]

ويتضح من هذه الرسالة مدى القوة التى كان يشعر بها السلطان المملوكى الأشرف خليل تجاه إيلخان المغول حيث تظهر فيها روح التحدى والمبادرة.

ولذلك بادر الأشرف خليل بالكتابة إلى نوابه فى بلاد الشام بالاستعداد وتجهيز الجيوش لهذا الأمر فى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م إلا أن هذه الاستعدادات قد توقفت، ولم يكتب لها أن تتم بسبب وفاة كل من السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون سنة٦٩٣هـ/سنة ١٢٩٤، وإيلخان المغول كيخاتو فى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م[٤] فقد تمكن بايدو حفيد

---

[١] خواندمير : دستور الوزراء ص ٣٠٥-٣١٢.
[٢] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٥٥.
[٣] المقريزى: السلوك ٨٧٦/٣/١.
[٤] فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٩٨.

هولاكو، وحاكم بغداد والعراق من إعلان الثورة على كيخاتو ثم هزيمته وقتله، وتولى بعده الحكم مدة ستة شهور في الفترة من جمادى الأولى حتى ذي القعدة من سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م ، لكنه لم يهنأ بالحكم فقد ثار عليه الأمير غازان بن أرغون الذى اعتنق الإسلام على المذهب الحنفى وسمّى نفسة محموداً، واقتدى به نحو مائة ألف من المغول فدخلوا فى الإسلام كذلك وقد تمكن غازان من التغلب على بايدو وقتله، وتولى مقاليد الأمور.[١]

رابعاً: انتشار الإسلام بين إيلخانات المغول وعودة الصراع مع المماليك

تولى غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م) عرش الإيلخانية، وجعل الإسلام الدين الرسمى للدولة وتأسس الحكم الإيلخانى على الشرع والآداب الإسلامية[٢] وزالت طاعة الإيلخانات منذ ذلك الوقت للقان المغولى فى قراقورم[٣] وانقطع ما كان يربط من علاقات بين إيلخانية إيران والوطن الأم "منغوليا" واعتبر غازان نفسة خاناً مستقلاً[٤]، وبذلك تكون دولة مغول إيران قد دخلت فى مرحلة جديدة سادها حكم إيلخانات مسلمين منذ عهد غازان خان وظلت هذه المرحلة على تلك الحال حتى نهاية حكم مغول إيران سنة ٧٥٦هـ.[٥]

---

[١] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٥٧.
[٢] فؤاد الصياد: السلطان محمود غازان ص ٣-٤.
[٣] المرجع السابق.
[٤] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٥٧.
[٥] عصام شبارو: السلاطين فى المشرق العربى ص ٨٢.

وعاود غازان الهجوم مرة أخرى على بلاد الشام سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، وفى موقعة مرج الصُّفر[١] بالقرب من دمشق حلت الهزيمة قاسية بالمغول.[٢]

وقد يبدو ثمة تساؤل عن الأسباب التى دفعت غازان بعد اعتناقه الإسلام إلى مهاجمة بلاد الشام، ومعاداة سلاطين المماليك؟

الحقيقة إن أقوال المؤرخين قد تضاربت عند ذكر تلك الأسباب فقد قيل: إن الفتنة التى دبت بين الجانبين نشأت على أثر هروب أعداد من المغول الأويراتية بزعامة "طرغاى"[٣] إلى مصر سنة ٦٩٥هـ بعد أن أعلنوا عصيانهم فى وجه غازان ووجدوا ترحيباً بالغاً من السلطان المملوكى العادل كتبغا صاحب مصر.[٤]

وحينما ثار سلامش بن آفال نائب غازان ببلاد الروم وأعلن خروجه عن طاعة غازان سنة ٦٩٨هـ/١٢٨٨م وجاء إلى مصر يطلب مساعدة السلطان المملوكي له، وجد ترحيباً كبيراً من السلطان والأمراء.[٥]

---

[١] تعرف هذه الموقعة بموقعة "شقحب" و"غباغب" و"مرج راهط" و"مرج الصُّفر" انظر: أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٤٨/٤، ابن حبيب: تذكرة النبية ٢٤٦/١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨/ ١٥٩ – ٢٤٦/١ ، العينى: عقد الجمان ٤/ ٢٣١، ابن إياس بدائع الزهور ١/١/ ٤١٣.

[٢] ابن الوردى: تتمة المختصر ٣٥٩/٢

[٣] كان طرغاى قد اتفق مع الخان السابق بايد وعلى قتل كيخاتو بن أباقا فلما تولى غازان الحكم أراد أن يثأر لعمة كيخاتو مما دفع طرغاى للهرب مع أنصاره من المغول الاويراتية الذين تخوفوا من غازان وخشوا أن يبطش بهم، وكان غازان قد أمر جنوده بالقبض على طرغاى وأصحابه قبل أن يدخلوا بلاد الإسلام فلم يتمكنوا منهم واستقبلهم السلطان المملوكى العادل كتبغا، وكان فى الأصل من المغول الاويراتية وأسر فى موقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ فأخذه المنصور قلاوون واعتقه ثم جعله من جملة مماليكه وترقى حتى صار من كبار أمرائه (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٥٥/٨ العينى: عِقد الجُمّان ٢٧٨/٣).

[٤] ابن خلدون: العبر ٥٤٧/٥.

[٥] المقريزى: السلوك ٨٧٨/٣/١.

ومعنى ذلك أن مصر صارت مأمناً لكل راغب فى الخروج على سلطان المغول فى إيران مما جعل غازان يتخذ موقفاً عدائياً تجاه المماليك، ويستقبل هو الآخر الخارجين عن طاعة المماليك فاستقبل الأمير سيف الدين قبجق نائب دمشق السابق وأصحابه الذين خرجوا على السلطان المملوكى حسام الدين لاجين.(1)

وقيل أيضا إن سلاطين المماليك كانوا يحاولون إخراج بغداد من قبضة المغول بعد أن استولوا بالتدريج على جميع الشام وسواحل البحر المتوسط من الصليبيين، وبلغوا شاطئ الفرات الأعلى، وكانوا يرغبون فى إحياء الخلافة العباسية فى بغداد فقام غازان مدافعاً عن أملاك مغول إيران(2)، كما قيل: إن الإيلخانيين بعد اعتناقهم الإسلام أرادوا السيطرة على دار الإسلام عن طريق مهاجمة النظام المملوكى بالشام ومصر وإسقاطه وكانوا يحاولون فى صورتهم الجديدة أن يكونوا البديل الأفضل عن حكام مصر والشام الذين يجب أن يدينوا للايلخانيين بالطاعة والولاء لأنهم ليسوا من بيت ملك، وإنما مجرد مماليك أرقاء.(3)

ومما لا شك فيه أن الخلاف بين المماليك ومغول إيران بعد اعتناق غازان للإسلام كان لابد أن يحدث نتيجة اقتراب حدود دولة مغول إيران من الإطراف الشمالية للدولة المملوكية هذا من ناحية، ومن ناحية

---

(1) فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٤٥.

(2) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٦٢.

(3) دوروتيا كرافولسكى: العرب وإيران ص ٩٧، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م دار المنتخب العربى/ بيروت.

أخرى فإن المغول في إيران كانوا يرون أنهم أحق بالمكانة في العالم الإسلامي من المكانة التي يتمتع بها سلاطين المماليك، وإن ذلك لن يتأتى إلا بالسيطرة على مصر والشام ونقل مقر الخلافة الإسلامية من القاهرة والتمتع بحماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، ولم يكن من الميسور الوصول إلى هذه الغاية إلا بالقضاء على دولة المماليك التي كان يسودها الاضطراب في تلك الفترة نتيجة النزاع على الحكم.[1]

وفي الحقيقة كان غازان قائداً طموحاً أراد أن يجمع في قبضته كياناً إسلامياً قوياً ومستقلاً عن الخان الأعظم المغولي، وربما دفعت به هذه الرغبة إلى توسيع حدود دولته بالسيطرة على بلاد الشام ثم مصر وقد بدأ بالفعل جهده في تكوين هذا الكيان المستقل لدولته حينما رفض نقش أسم الخان الأعظم على العملة في إيران وأصدر عملة إسلامية نقش عليها عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وأمر بنقش أسمه على العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم وطرد نائب الخان من بلاده وألغى لقب إيلخان[2] أي نائب الخان الأعظم واتخذ لنفسه لقب خان كما وضع التاريخ الخاني الذي نسب إليه منذ اعتلائه العرش.[3]

---

[1] في تلك الفترة تآمر المماليك على الأشرف خليل بن قلاون وقتلوه سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م ثم تولى بدر الدين بيدرا السلطنة ثم قتل هو الآخر ثم تولى الناصر محمد بن قلاوون وكان في التاسعة من عمرة سنة ٦٩٣هـ حتى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م حيث عزل وتولى السلطنة زين الدين كتبغا الذي عزل بعد سنتين وتولى بعده حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ثم قتل بعد سنتين وثلاثة أشهر وتولى الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثانية سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م. أنظر: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ٣٠/٤، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١٦٧/١، النويري: نهاية الأرب ٢٥٩/٣١-٢٦٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦/٨-١٧، ١٧٠.

[2] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢١٢/٣

[3] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٧٤.

ولم يتمكن غازان من التغلب على المماليك بعد هزيمته فى موقعة مرج الصُفّر سنة ٧٠٢هـ/مايو ١٣٠٢م وتوفى فى شوال سنة ٧٠٣هـ/ مايو ١٣٠٣م.[١]

وخلفه أخوه خدابنده[٢] بن أرغون الذى لقب بالسلطان أولجايتو[٣] محمد[٤] (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) والذى تسمى بالقان[٥] وكانت مملكة مغول إيران فى زمنه تشمل إقليم خراسان وعاصمته نيسابور، وعراق العجم وعاصمته أصفهان، وعراق العرب وعاصمته بغداد وإقليم أذربيجان وعاصمته تبريز، وإقليم خورستان وعاصمته تستر (ششتر) وإقليم فارس وعاصمته شيراز وإقليم دياربكر وعاصمته الموصل، وإقليم الروم (آسيا الصغرى) وعاصمته قونية.[٦]

وقد أراد أولجايتو محمد خدابنده أن يبدأ عهده بسياسة ودية مع سلاطين المماليك، ولذا أوفد فى بداية عهده السفراء إلى السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون يؤكد له حرصه على توثيق عرا الصداقة به وخاطب سلطان المماليك فى خطابه بالأخوة وسأله إخماد الفتن وطلب الصلح[٧] فلبى السلطان طلبه وجهز له هدية مع بعض الرسل،

---

[١] المقريزى: السلوك ٩٥٤/٣/١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٦٨/٨.
[٢] خدابنده كلمة فارسية مركبة من مقطعين (خدا) بمعنى الله و (بنده) بمعنى الله (أى عبد الله) (دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص ٦٩حاشية١)
[٣] السلطان أولجايتو أى السلطان المغفور له (عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٧٦).
[٤] Coke, Richard, Baghdad the City of Peace, London, 1927, P162.
[٥] فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٧٤.
[٦] العمرى: مسالك الأبصار ج ٢ق ٢ورقة ٢٧٣ مخطوط رقم ٥٥٩ معارف عامة بدار الكتب المصرية.
[٧] جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٢٠٣.

وسيرّ معهم علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بلبان القلنجقي، وسليمان المالكي المرتقي وساروا في أول ذي القعدة سنة ٧٠٤هـ مايو ١٣٠٥م لتوطيد أواصر الصداقة ثم عادوا في رمضان سنة ٧٠٥هـ / مارس ١٣٠٦م.[١]

ويبدو أن العلاقات الودية بين أولجايتو والسلطان المملوكي لم تسر سيرها الطبيعي بسبب قدوم جماعة من التتار فروا من وجه أولجايتو ولجئوا إلى مصر مستأمنين وكانوا نحو مائتي فارس بنسائهم وأولادهم وفيهم جماعة من أقارب غازان فكتب السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون إلى نوابه بالشام باستقبال الوافدين حتى وصلوا إلى القاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٠٤هـ / ديسمبر ١٣٠٤م فرتبت لهم الرواتب وأقطعوا الإقطاعات.[٢]

ثم بدأت بوادر الشقاق والنزاع تظهر حينما خرجت حملة من الجيش المملوكي بقيادة قشتمر الشمسي أحد مقدمي حلب لتأديب صاحب بلاد سيس لامتناعه عن دفع الضريبة السنوية للمماليك وخروجه عن طاعتهم فعلم المغول بأخبار غزو الجيش المملوكي بلاد سيس وساروا لنجدة صاحبها وتمكنوا من هزيمة الجيش المملوكي وقتلوا عددا منهم وأسروا عددا آخر وذهبوا بالأسرى إلى السلطان أولجايتو محمد خدابنده.[٣]

---

[١] ابن أيبك الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر تحقيق روبرت رويمر – القاهرة – قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار سنة ١٩٦٠م ص ١٢٨، المقريزي السلوك ٦/١/٢.

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ص ٣٩ ، طبعة الخانكي ١٣٥١هـ.

[٣] أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ٤/٥١-٥٢، المقريزي: السلوك١/١/١٦، ١٧، ٣٠.

ولقد ساءت العلاقات المغولية المملوكية أكثر من ذلك وازدادت حدة العداء بين الطرفين عقب اعتناق الإيلخان أولجايتو المذهب الشيعى سنة ٧٠٩هـ / ١٣١٠م وإصدار أمره بترك أسماء الخلفاء الثلاثة فى السكة والخطبة وإحلال أسماء أمير المؤمنين على بن أبى طالب وولديه محلهم فى الخطبة والاقتصار فى السكة على أسم على بن أبى طالب ومحاولة فرض مذهب التشيع على الشعب الإيرانى.[١]

وقد أغضب هذا الموقف المماليك الذين كانوا يعتنقون المذهب السنى ويعتبرون أنفسهم حماة له[٢] وتوترت العلاقات بين الطرفين، وبدأ الجايتو يفكر فى مهاجمة الدولة المملوكية وأراد أن يوجد له حلفاء من الغرب الأوروبي يساعدونه فى الهجوم على بلاد الشام ومصر، وكان المسيحيون فى جزيرة قبرص وأرمينية يحرضونه على هذا الهجوم[٣] فوجه سفارة إلى ممالك الغرب المسيحي تحمل رسائل إلى البابا كليمنت الخامس وإدوارد الثانى ملك إنجلترا وفيليب الجميل ملك فرنسا يطلب منهم التحالف معه لاحتلال الشام ومصر، لكن هذه السفارة لم تتعد حدود التعارف، ولم تنته بإرسال مدد عسكري فلم تكن الأحوال الداخلية لدى ملوك أوروبا تسمح لهم بخوض غمار الحرب ضد المسلمين وبخاصة بعد سقوط الإمارات الصليبية فى فلسطين والتي كانت تعد بمثابة ثغور لهم.[٤]

---

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٨٠.

(٢) فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٧٥، برتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ٧٨.

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٨٥.

(٤) وليم موير: تاريخ دولة المماليك ص ٨٢، شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولى ص ٧٨، فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٧٥.

وكما فتحت مصر أبوابها لأمراء المغول الفارين من أولجايتو فتح هذا الإيلخان أبواب بلاده أيضاً للمماليك الفارين من بلاد الشام مستغلاً خلافهم مع الناصر محمد بن قلاوون، ففي سنة ٧١١هـ / ١٣١١م بادر كل من قرا سنقر[1] حاكم دمشق، وجمال الدين الأفرم[2] نائب حلب، ومهنا بن عيسى[3] بالفرار إلى بلاد المغول، وكتبوا إلى خدابنده كتاباً يخبرونه فيه بقدومهم،ويطلبون منه السماح لهم بالدخول إلى بلاده فأذن لهم وأمر نوابه باستقبالهم ولما اقتربوا من الأردو[4] الذى يقيم فيه مخيمه ركب لاستقبالهم وبالغ فى إكرامهم ورتب لهم الرواتب السنية بعد أن انفرد بكل واحد منهم، وحسنوا له جميعاً عبور الشام والسيطرة عليها وهونوا عليه أمره.

---

(١) هو الأمير شمس الدين قرا سنقر بن عبد الله المنصورى كان من كبار الأمراء وممن شاركوا فى قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون فلما تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون الحكم أخذ يتتبع قتلة أخيه ويثأر منهم فلما علم سنقر أن الناصر محمد يدبر للقبض عليه خشى على نفسه وخرج فى ثمانمائة مملوك قاصداً بلاد المغول. (ابن بطوطة : تحفة النظار ١ / ٩٣، المقريزى: السلوك ١٠٧/١/٢، ١١١ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٩ / ٢٧٣).

(٢) هو الأمير جمال الدين آقوش الدوادارى الأفرم وكان يلى نيابة طرابلس فلما ورد له الرسم بنيابة حلب وطلب إلى مصر ليلبس التشريف ويأخذ التقليد خشى على نفسه بعد أن أتاه مملوك صهره أيدمر الزردكاش وأخبره أنه مأخوذ وحرضه على الفرار فسار من وقته إلى قرا سنقر (المقريزى: المقفى الكبير جـ٢ / ٢٤٣).

(٣) هو حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة أمير أعراب آل فضل اختلف مع الناصر فأصدر كتاباً بالقبض عليه وأطلعه قرا سنقر على الكتاب فقرر الذهاب معه إلى بلاد المغول لكنه عاد إلى مصر سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م فعفا عنه السلطان (المقريزى: السلوك ٢ /١/ ١٠٧ /، ١١١، ابن حبيب : تذكرة النبية ٢/ ٧٥ ، ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ١٦/٩، ابن العماد : شذرات الذهب ٦ / ١١٢).

(٤) الأردو : لفظ مغولى معناه المعسكر وقد استعمل فى المراجع العربية والفارسية للدلالة على معسكر إيلخان الدولة المغولية بإيران(محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ص ١٤، جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ص ٢٠٨).

وقد كافأ أولجايتو الأمراء على المعلومات التى أدلوا بها إليه عن حالة دولة المماليك فمنح قرا سنقر ولاية مراغة من عراق العجم، وأقطع همدان الأمير جمال الدين الأفرم[1] ويذكر ابن بطوطة أنه أعطى مهنا بن عيسى العراق.[2]

وبعد أن اقتنع أولجايتو بكلام الأمراء الفارين واطلع على الأحوال في بلاد الشام قرر تجريد حملة عسكرية إلى بلاد الشام، وفى اول رمضان سنة ٧١٢هـ / آخر ديسمبر سنة ١٣١٢م وصلت حملة المغول إلى قلعة الرحبة وكانت تعد أولى القلاع المملوكية على الحدود الشامية[3] وحاصروها.[4] فقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشى قتالا عظيما.[5]

ولما علم السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون بخبر الهجوم على الرحبة خرج بنفسه لملاقاة المغول فلما وصل إلى غزة جاءت الأخبار بأن التتار تسامعوا بمجيئ السلطان فرفعوا الحصار عن الرحبة

---

(1) البدايسى : شرفنامه ٢٣/٢، المقريزى : السلوك ٢ / ١ / ١٧، ١٠٩، ١١١، ١٦٧.

(2) ابن بطوطة : تحفة النظار ١ / ٩٣

(3) عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص ٢١٩.

(4) يذكر أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) أن الحصار على الرحبة استمر نحو شهر، بينما يذكر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) أن الحصار استمر لمدة عشرين يوما، ويذكر ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ، ١٣٧٧م) أن مدة الحصار كانت ثلاثة وعشرين يوما، ويميل البحث إلى الأخذ برأى أبى الفداء فى أن الحصار استمر لمدة شهر لأنه كان من المقربين لسلاطين المماليك ويعد شاهد عيان لما حدث. (أبو الفك: المختصر فى أخبار البشر ٦٩/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٤٤٨/٧ط دار الغد العربى ، ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ٤٥/٢).

(5) أبو الفداء: المختصر ٦٩/٣.

ورحلوا[١] وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزل أهل الرحبة واستولوا عليها.[٢]

وهكذا فشل أولجايتو في الاستيلاء على أول قلاع الشام من ناحية العراق في أول هجوم عسكرى له فعاد إلى إيران وقد تخلى عن فكرة غزو الشام.[٣]

وكان لابد للمماليك من الرد على ما فعله أولجايتو فقرر السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون تجريد حملة عسكرية سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م إلى ملطية للاستيلاء عليها وتخليصها من نائب أولجايتو "جوبان" الذى أناب بها رجلاً كردياً تعدى على أهلها، وأساء إليهم وظلمهم.[٤]

ووصل الجيش المملوكى فى٢٣ محرم سنة ٧١٥هـ/ ٣٠ إبريل ١٣١٥م إلى ملطية بقيادة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وحاصر المدينة لمدة ثلاثة أيام حتى خرج إليه نائب ملطية وأعيانها واتفقوا مع تنكز على تسليمها فأمنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة، وأعطى نائب ملطية سنجقا سلطانيا ثم عاد راجعاً إلى الشام بعد أن ترك خلفه نائب حلب ليقوم بهدم أسوار المدينة.[٥]

---

[١] ابن إياس: بدائع الزهور ٤٤٢/١/١ ط٢/الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

[٢] أبو الفداء: المختصر ٦٩/٣.

[٣] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٨٣.

[٤] ابن كثير: البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٥٦.

[٥] المقريزى: السلوك ١٤٢/١/٢ – ١٤٤.

ولم يكتف السلطان المملوكي بذلك، بل أرسل حملة أخرى بقيادة الأمير شهاب الدين قرطاي، وخرجت هذه الحملة من حلب في العام نفسه لتأديب صاحب ماردين لتعاونه مع المغول، وشن الجيش المملوكي هجوماً شديداً على ماردين لمدة يومين، والتقوا بجماعة من المغول حضروا إلى ماردين لجباية المال أو أخذ القطيعة السنوية المقررة فحاربهم قرطاي وقتل منهم ستمائة رجل وأسر مائتين وستين أسيراً وقدم بالرؤوس والأسرى إلى حلب.[١]

واشتد غضب السلطان أولجايتو فقرر أن يضرب المماليك ضربة شديدة في اتجاه آخر، وهو السيطرة على الحرمين الشريفين، وأخذ يسعى لاستمالة الأشراف العلويين ببلاد الحجاز إلى جانبه.[٢]

وواتته الفرصة حين حضر إليه الأمير حميضة بن أبي نمي بعد اختلافه مع أخيه رميثة على إمرة مكة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م فتلقاه أولجايتو وأكرمه، وأقام حميضة في إيران لمدة شهر[٣] ثم اقترح على أولجايتو أن يمده بجيش من المغول ليسير إلى بلاد الحجاز فيملكها ويخطب له على منابرها[٤]

---

[١] المصدر السابق ص ١٤٧.

[٢] كان حكام المدينة النبوية من الأشراف الحسينيين من الشيعة الاثنى عشرية كما كان أشراف مكة الحسينون من إحدى فرق الزيدية الذين طعنوا في الصحابة طعن الإمامية مما جعل بعض المصادر تصفهم بأنهم روافض (ابن جبير: الرحلة ص ٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية ج٧/٤٦٢، ابن خلدون: العبر ١٤٢/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠٩/٥، السمهودي: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ص ١٤٩، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢١٩/١ صبحي عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز ص٣٣، أحمد مصطفى الصغير: الدور السياسي للشيعة بالحجاز من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري، ص ٢٦-٢٧.

[٣] ابن فهد: غاية المرام ٥٣/٢.

[٤] ابن كثير: البداية والنهاية ٤٦٢/٧.

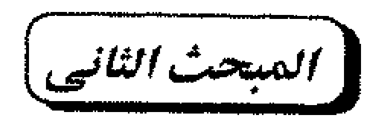
وكانت هذه الفكرة تراود خيال أولجايتو فعزم على تنفيذها وجهز جيشاً كبيراً جعل على قيادته الأمير طالب الدلقندى[١] نائب السلطنة بالبصرة.[٢]

وتحرك الجيش المغولى حتى إذا بلغ ظاهر القطيف وصل الخبر بموت الايلخان أولجايتو محمد خدابنده، وأرسل الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذانى[٣] إلى قادة الجند، وأمرهم بعدم الطاعة للأمير طالب الدلقندى، ومخالفته، لعداوة كانت بين الوزير وهذا الأمير، فآل الأمر إلى أن هرب عسكر المغول عن حميضة، ولم يثبت معه سوى الأمير طالب الدلقندى فى نفر من خواصه[٤] فلما علم محمد بن عيسى أخومهنا بما آل إليه أمر حميضة وأعوانه هاجمهم فى جماعة من أعراب آل فضل وقتل منهم عددا وأسر بعضهم ونهب ما كان معهم من الأموال، وفر حميضة والدلقندى وبعض أعوانهما.[٥]

واستمرت العلاقات متوترة بين المماليك والمغول حتى تولى أبو سعيد[٦] بن أولجايتو محمد خدابنده بعد وفاة والده سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م.[٧]

---

[١] ابن فهد: غاية المرام ٧٦/٢.
[٢] أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٨١/٣.
[٣] هو رشيد الدين فضل الله بن أبى الخير بن عالى الهمذانى الوزير الطبيب المؤرخ عمل وزيرا لغازان وأولجايتو والد الايلخان أبى سعيد الذى اتهمه بقتل والده بالسم وأمر بقتله هو وولده إبراهيم ، وأشهر أعماله جامع التواريخ الذى يتحدث فيه عن تاريخ شعوب المغول بالإضافة إلى بعض الشعوب الأخرى (فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذانى/القاهرة/١٣٧٨هـ/١٩٦٧م ص ٢٥٩-٢٧١).
[٤] ابن فهد: غاية المرام ٧٧/٢.
[٥] ابن كثير: البداية والنهاية ٤٦٢/٧.
[٦] أورد ابن حجر العسقلاني تحقيقا لاسم هذا الايلخان فيقول: "الناس يقولون: أبو سعيد بلفظ الكنية لكن الذى ظهر لى أنه علم ليس فى أوله ألف فإنى رأيته كذلك فى المكاتبات التى كانت ترد منه إلى الناصر هكذا "بوسعيد" ويرى ابن تغرى بردى أيضا أن "بوسعيد" اسم وليس كنية بضم الباء ثانية الحروف وسكون الواو، ويقول، ومن الناس من ينطقها بالصاد المهملة فيقول "بوصعيد" وقد ورد هذا الاسم في المكاتبات عند القلقشندى "بوسعيد بهادر خان (الدرر الكامنة ٥٠١/١، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٣٠٩/٩، القلقشندى: صبح الأعشى ٢٥٣/٧.
[٧] أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٨١/٣.



سياسة المغول تجاه المماليك

زمن أبي سعيد

اشتد الصراع بين المغول والمماليك أثناء حكم الإيلخان أولجايتو محمد خدابنده، ولم يعد هناك أمل فى أن يسود الوئام بين الجانبين حتى تولى العرش الايلخانى أبو سعيد بهادر خان[1] والنزاع لا يزال مستمرا بين الطرفين، ولم تتحسن العلاقات إلا بعد فترة من جلوسه على العرش وتمكنه من السيطرة على مقاليد الأمور، ففى السنة الأولى من ولايته أغار المغول فى حملة عسكرية قوامها ألف فارس على أطراف حلب، ونهبوا الأهالى فخرج إليهم التركمان، وقتلوا كثيرا منهم وأسروا ستة وخمسين شخصا من أعيانهم وغنموا ما كان معهم وأرسلوا الأسرى إلى القاهرة.[2]

وفى العام نفسه فر جماعة من المغول المنشقين على أبى سعيد وعبروا نهر الفرات إلى الشام ووصلوا دمشق طالبين اللجوء إلى السلطان المملوكى حيث صارت مصر مأمنا لكل من خرج على سلطان المغول فى إيران وعلى رأس هؤلاء الفارين مقدم ألف اسمه طاطى ويعرف بقفز بن

---

(1) ادخل بوسعيد دولته فى منعطف جديد حيث شدد قبضته على الشيعة وأعلن عودة المذهب السنى إلى كافة أنحاء البلاد، وأمر بإلغاء المذهب الشيعى، والتزم بمذهب ابى حنيفة وأحاط نفسه بفقهاء الحنفية ورجال الدين والمثقفين، واهتم بتعظيم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأعاد نفوذ أهل السنة والجماعة (المقريزى: السلوك ٢/١/٣٩٠، ٤٠٤، رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول ص١٥، شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ٧٨.

(2) المقريزى: السلوك ٢/١/١٦٢.

زعل ووصل معه نحو مائة فارس بنسائهم وأولادهم ووصلوا إلى القاهرة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م فأحسن المماليك استقبالهم.[١]

وفى العام التالى أغار الجيش المملوكى فى قوة عسكرية خرجت من حلب واتجهت إلى ولاية ديار بكر وأغارت على مدينة آمد، وغنموا، وسبوا، وعادوا سالمين.[٢]

وأراد أبو سعيد أن يضع حدا لهذا الصراع وأن ينهج سياسة مخالفة لسياسة أبيه حتى يضمن الاستقرار والأمن لدولته، ويوطد أقدامه فى حكمها ويرجع السبب فى ذلك إلى الأخطار التى كانت تحيط به من كل جانب عند توليه أمور الحكم، فقد أعلن الأمير يساور التمرد والعصيان سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م وسيطر على خراسان وشرع يزحف بجنوده على إقليم مازندران.[٣]

كما تعرضت بلاد الايلخان من الناحية الشمالية الغربية أى من جانب معابر جبال القوقاز لغارات أوزبك ملك صحراء القبجاق[٤] إذ قدم إلى إيران بجيش جرار عن طريق الدربند.[٥]

وأسرع أبو سعيد فى استدعاء الأمراء وأركان الدولة لعقد القوريلتاى بقصد التشاور واتخاذ رأى موحد إزاء هذه الأحداث الخطيرة

---

[١] النويرى: نهاية الأرب ٢٥٤/٣٢.
[٢] ابن كثير : البداية والنهاية ٤٦٧/٧.
[٣] عباس إقبال: تاريخ إيران ص ٤٩٠.
[٤] المرجع السابق.
[٥] فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى ص ٤٣٣.

واستقر رأى الجميع على التصدى للخارجين والمتمردين.[١]

ويبدو أن أبا سعيد قرر فى هذا المؤتمر السعى من أجل الدخول فى مفاوضات مع السلطان المملوكي الناصر محمد تهدف إلى عقد صلح بين الدولتين، ويؤكد ذلك ما ذكره المقريزى فى حوادث سنة ٧١٧هـ حينما يتحدث عن وصول رسل من قبل أبى سعيد، ونائبه جوبان فيقول: قدمت رسل جوبان وقد جاءوا فى الغالب لمفاوضة السلطان فى أمر ملطية وغيرها من بلاد الأطراف التى أغارت عليها جيوش الدولة المملوكية، كما جاءت رسل أبى سعيد تخبر فيما يظهر بتوليته دولة المغول بإيران، بعد وفاة أبيه خدابنده.[٢]

وعلى هذا حرص الإيلخان أبو سعيد منذ العام الثانى لتوليه العرش على إطلاع السلطان المملوكى على نواياه الحسنة ورغبته الصادقة فى أن تقوم العلاقات بينهما على أسس وطيدة من المودة والاحترام.[٣]

ولعل أبا سعيد قد وجد استجابة من الملك الناصر محمد بن قلاوون لطلب الصلح فقدم مجد الدين السلامى[٤] سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م

---

(١) أرسل أبو سعيد جيشا بقيادة الأمير حسين جورجان إلى الأمير يساور الذى أعلن العصيان فتمكن هذا الجيش من هزيمة يساور وقتله سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م كما تمكن أبو سعيد ونائبه جوبان من التصدى لأوزبك ملك صحراء القبجاق الذى عاد إلى بلاده، وقام جوبان بعزل بعض القادة والأمراء الذين ضعفوا فى مقاتلتهم لأوزبك فحقدوا عليه وصمموا على قتله ففر منهم إلى السلطان الذى خرج معه لدفع الثوار وانتصر عليهم سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م بالقرب من ميانج ولقب لذلك بلقب بهادر خان أى الملك الشجاع أو الملك البطل، وزاد نفوذ وسلطان الأمير جوبان داخل الدولة. (المقريزى :- السلوك ٢ / ١ / ١٨٤، عباس أقبال تاريخ إيران ص ٤٩٠، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ٤٣٣).

(٢) المقريزى: السلوك ٢/١/١٦٣.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى ص ٤٧٩.

(٤) هو مجد الدين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى الذى عرف باسم خواجا مجد الدين السلامى وكان يلى وظيفة تاجر الخاص السلطانى فى الرقيق زمن الناصر محمد بن قلاوون فكان يدخل إلى بلاد المغول ويعود بالرقيق، وكان سفيرا للسلطان الناصر أيضا، وهو الذى تم على يديه وبحسن تدبيره أمر الصلح بين الناصر وأبى سعيد وقد توفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م (المقريزى :- المواعظ والاعتبار ٢ / ٤٣)

- Dozy;(R.) Supplement aux dictionaries Arabes, Nol. I (Leiden. Brill. 1967, P410-431

رسولاً من قبل أبى سعيد ووزيره على شاه وأمير أمرائه الأمير جوبان للتفاوض بشأن الصلح، وكان يحمل معه هدية من الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذانى[١] قبل أن يغضب عليه أبو سعيد ورحب المماليك بهذا الرسول، وجهزوا معه هدية إلى الإيلخان أبى سعيد كان من ضمنها فرس وسيف وقرقل.[٢]

أحداث تعرقل مفاوضات الصلح :

استمرت المفاوضات بين الجانبين أكثر من ثلاثة أعوام تبادل فيها الطرفان الرسل والهدايا إلى أن وقعت عدة حوادث أخرت لبعض الوقت الجهود المبذولة فى سبيل التوصل إلى معاهدة صلح مشرفة للدولتين.[٣]

فالأمير حميضة بن أبى نمى الحسنى قدم سنة ٧١٧هـ/١٣١٨م من العراق إلى مكة ومعه نحو خمسين نفرا من المغول[٤] واستأذن أخاه الأمير رميثة فى دخول مكة، فرفض رميثة الإذن له إلا بعد موافقة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكتب إلى السلطان يخبره بذلك، فكتب السلطان إلى حميضة ومن معه يطلبهم بالحضور بين يديه بالأمان، وجهز لهم عسكرا بصحبة الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي وسيف الدين بهادر العبدى فوصلوا إلى مكة، وأرسل الأميران إلى حميضة فى معاودة الطاعة

(١) المقريزى: السلوك ١٧٥/١/٢..
(٢) القرقل: نوع من الدروع المزردة (المصدر السابق حاشية ٢ ص١٧٥).
(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي ص ٤٨٠.
(٤) المقريزى: السلوك ١٧٥/١/٢.

والتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية فاعتذر بقلة النفقة فأعطياه مالاً فلما أخذه منهما اختفى عنهما فاضطر الأميران إلى العودة للقاهرة.[1]

وبعد عودة الحاج موسم سنة ٧١٧هـ/١٣١٨م ظهر حميضة وانقض على أخيه الأمير أسد الدين رميثة بمساعدة عبيد مكة، وأخرجه إلى وادى نخلة، واستولى حميضة على مكة[2] وقطع الخطبة للسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون وخطب للايلخان المغولي أبى سعيد.[3]

ووردت الأخبار فى صفر سنة ٧١٨هـ إلى السلطان المملوكى بما فعله حميضة فأمر بتجريد حملة عسكرية فى ثلاثمائة فارس لتأديب هذا الأمير وجعل على رأس هذه الحملة الأمير صارم الدين أزبك الجرمكى، ويعاونه الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى[4] وأمرهم بالسير إلى مكة، وألا يعودوا إلى الديار المصرية حتى يظفروا بحميضة[5] وقرر تعيين الأمير عطيفة أميرا على بلاد الحجاز.[6]

ومما لا شك فيه أن هذا الموقف قد أغضب أبا سعيد وبخاصة بعد قطع الخطبة له وعودتها للسلطان الناصر محمد وبدأت العلاقات تسوء بين الطرفين فقد حدث فى موسم الحج فى العام التالى أن خرج من العراق محمل الحاج ومعهم كسوة للكعبة فلم تؤخذ منهم، ومنعوا من تركيبها[7]

---

[1] عبد القادر الجزيرى: الدرر الفرائد ١/ ٦٢٢.
[2] ابن فهد: غاية المرام ٨٥/٢.
[3] عمر بن فهد: اتحاف الورى ١٥٨/٣.
[4] المقريزى: السلوك ١٧٦/١/٢.
[5] النويرى: نهاية الأرب ٢٨٣/٣٢-٢٨٤.
[6] المصدر السابق.
[7] المقريزى : السلوك ١٩٠/١/٢.

وكان أمير الحاج بولاواج نائب السلطنة بالعراق الذى أرسل معه الوزير على شاه حلقتين من ذهب مرصعتين باللؤلؤ والبلخش ليعلقا فى الكعبة فرفض أمير الحاج المصري مغلطاى الجمالي تعليقها إلا بإذن من السلطان المملوكى.[١]

وحدث نقاش بين الأميرين حاول فيه أمير الحاج العراقى إقناع نظيره المصري بتعليق الحلقتين وأخبره أن الوزير على شاه نذر أنه متى ظفر بخواجا رشيد الدين وقتله أن يعلق على باب الكعبة هاتين الحلقتين، وانتهى الأمر بتعليقهما لعدة أيام ثم رفعتا وأخذهما امير مكة.[٢]

وأثناء عودة الركب العراقي خرج الأعراب عليهم ونهبوهم واخذوا منهم نحو ثلاثين ألف دينار فعوضهم أبو سعيد عن ذلك بستين ألف دينار.[٣]

ومما لا شك فيه أن هذه الحوادث ساهمت فى عرقلة مفاوضات الصلح وأدت إلى تأخيرها لكن الناصر محمد بن قلاوون تمكن برجاحة عقله من التغلب على هذه العقبات حيث ذهب فى العام التالى لتأدية فريضة الحج فى موسم سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م واصطحب معه صاحب حماه الملك المؤيد عماد الدين أبا الفداء إسماعيل.[٤]

ويبدو أنه أراد ان يثبت للإيلخان أبي سعيد مدى سيطرته على الامور فى بلاد الحجاز وقوة نفوذه بها، وفى هذا الموسم حضر ركب

---

[١] عمر بن فهد : اتحاف الورى ١٦٠/٣.
[٢] عبد القادر الجزيرى : الدرر الفرائد ٦٢٣/١.
[٣] المقريزى : السلوك ١٩٠/١/٢.
[٤] عمر بن فهد : اتحاف الورى ١٦٤/٣

الحاج من العراق وبه ثلاثة من كبار مقدميهم فلما علموا بوجود السلطان الناصر محمد بن قلاوون فزعوا فزعا شديداً وأخفوا أنفسهم خشية أن يقبض عليهم[١] فلما علم السلطان بذلك أمر بإحضارهم، فلما حضروا بين يديه طيب خاطرهم وأنعم عليهم، وأكرمهم وشملهم بالخلع السنية ومكنهم من العودة إلى بلدهم سالمين.[٢]

ولقد ساهم هذا الموقف فى محاولة إعادة العلاقات إلى مجراها الطبيعى، وكان رد الفعل سريعا، إذ يذكر أبو الفداء الذى كان مصاحباً للسلطان المملوكي في موسم الحج أنه فى ذى الحجة سنة ٧١٩هـ وعقب عودة الحجيج وصل المجد السلامى رسولا من جهة أبى سعيد ايلخان المغول ونائبه الأمير جوبان والوزير على شاه، وأحضر معه هدايا جليلة وتحفا ومماليك وجوارى بما يقدر قيمته بخمسين تومانا[٣] وأعلن أنه إنما جاء ليصلح بين المغول والمماليك فتلقاه الجند وكبار رجال الدولة فى دمشق، ونزل بدار السعادة لمدة يوم واحد ثم غادرها إلى مصر لمقابلة السلطان.[٤]

ووصل فى العام نفسه رسول تمرتاش بن جوبان نائب أبى سعيد على بلاد الروم (آسيا الصغرى) ومعه الهدايا للسلطان الناصر محمد بن قلاوون.[٥]

---

[١] النويرى : نهاية الارب ٣٢/٣٠٢.
[٢] الفاسي: العقد الثمين ٤/٢٤١ ، الجزيرى: درر الفرائد١/ ٢٩٦ المقريزى: السلوك٢/١ / ١٩٠.
[٣] التومان أو الطومان نقد إيرانى من ذهب أو فضة ويرى أبو الفداء أن التومان هو البدرة ويساوى عشرة آلاف درهم.(انظر: أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٣/٩٠ اليوسفي:نزهة الناظر ص ١٧١ ح ١، عباس العزاوى: تاريخ النقود العراقية ص٤٠.
[٤] ابن كثير : البداية والنهاية ٧/٤٨٦.
[٥] أبو الفداء : المختصر ٣/٩٠.

وعند عودة المجد السلامى إلى إيران وقع حادث أدى إلـى عرقلـة المفاوضات مرة أخرى فقـد حـدث أن أرسـل السـلطان النـاصر محمـد بـن قلاوون ثلاثين فداويا[١] من طائفة الإسماعيلية من أصحاب قلعـة مصيـاف لقتل الأمير قرا سنقر الذى سبق أن شق عصـا الطاعـة علـى السـلطان المملوكي وفر إلى إيران فى زمـن الايلخـان أولجـايتو وأصبـح منذ ذلـك الوقت يعيش فـى حمايـة الايلخانيين حتـى زمـن أبـى سـعيد، وكـان الملـك الناصر يرغب فى القضاء عليه بشتى الطرق لأنـه كـان متهمـا بالمشـاركة فى قتل أخيه الملك الأشرف خليل بن قلاوون.[٢]

فلما وصل هؤلاء الفداوية إلى تبريز تقـرب بعضهـم إلـى قـرا سـنقر وأخبره بما يدبر لـه فتمكن مـن القبـض علـى عـدد منهـم وقتلهـم، بينمـا نـجـح البعض الآخر في الوصول إليه وضربه لكنه نجاء ووقعت الضربـة فـى أحـد أمراء المغول فقتل.[٣]

وعلى الرغم من فشل هذه المؤامرة فإنـها أخافت المغـول إلـى حد كبير، وأحدثت تـأثيرا سيئا فـى نفوسـهم، وإن كـان السـلطان النـاصر لـم

---

[١] الفداوية هم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين إلي إسماعيل بن جعفر الصـادق بن محمـد البـاقر بـن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابى طـالب وهم فرقـة مـن الشيعة يعتقدون أن الإمامـة انتقلت بعد النبى – صلى الله عليه وسلم – بالنص إلى على بن أبـى طـالب ثم أولاده مـن السـيدة فاطمة أبنة الرسـ ل – صلى اللـه عليه وسلم – ويسمون الفداويـة لأنهم يفادون بالمـال علـى مـن يقتلونه وهم يقيمـ ن فى الشام بعدة حصون مثل العليقة ومصياف والكهف ولا يدخل عليهم أحد مـن غيرهم وكانوا يستجيبون للملك الناصر يرسلهم على أعدائه سواء بالعراق أو إيران وغيرهـا ولـهـم المرتبات على ذلك وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم لاغتيال عدوله قرر ديته فإن سلم ونجح فيما طلب منه فهى له وإن أصيب فهى لولده، ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا لقتله (القلقشندى: صبح الأعشى ١/١١٩-١٢٠، ١٢٢ ابن بطوطة: تحفة النظار ١/٩٣)

[٢] فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ص ٤٨٠.

[٣] المقريزى : السلوك٢/١/٢٠٧.

يقصد من وراء هذه المحاولة قتل أحد المغول، وكان الهدف هو قتل قراسنقر فحسب[1] لكن خبر هذه المؤامرة شاع وانتشر فى العاصمة تبريز، وتضخم الأمر، وقيل إن هؤلاء الإسماعيلية حضروا لقتل الإيلخان أبى سعيد ونائبه الأمير جوبان والوزير على شاه، وقرا سنقر، وكبار أمراء المغول، واحتجب الايلخان أبو سعيد فى خيمته أحد عشر يوما خوفا على نفسة.[2]

وبادر الأمير جوبان فأحضر الخواجه مجد الدين السلامى سفير السلطان المملوكى وابلغه بما دبره الفداوية وأستنكر العمل الذى أقدم عليه سلطان مصر وهدد بقتل هذا السفير، وقال له: أنت كل قليل تحضر إلينا هدية وتريد أن نكون متفقين مع صاحب مصر لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية، وأمر بسجنه ثم أفرج عنه بعد أن تشفع له الوزير على شاه.[3]

ويبدو أن المجد السلامى قد نجح فى إقناعهم بعدم مسئولية السلطان عن هذه المؤامرة، ونفى علمه بها فقرر المغول إرساله إلى مصر ليكشف الخبر على حقيقته وأوفدوا فى إثره رسولا بهدية.[4]

وكان من المتوقع أن يؤدى هذا الحادث إلى قطع مفاوضات الصلح والعودة إلى سياسة العداء بين البلدين لولارجاحة عقل السفير مجد الدين السلامى.

---

[1] فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ص ٤٨٠.
[2] المقريزى : السلوك ٢٠٧/١/٢.
[3] المصدر السابق.
[4] المصدر السابق.

عودة مفاوضات الصلح بين الطرفين :

قدم السفير مجد الدين السلامي من عند أبي سعيد إلى مصر في سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠ ليمهد السبيل من أجل عودة مفاوضات الصلح بين المماليك والمغول فخرج القاضي كريم الدين الكبير لاستقباله، وصعد به إلى قلعة الجبل حيث التقى بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون وأخبره برغبة أبي سعيد ونائبه جوبان وكبار أعيان الدولة في طلب الصلح، وأضاف أن رسل أبي سعيد سوف يصلون قريبا إلى العاصمة المصرية، ومعهم الهدايا وكتاب الصلح فصدرت التعليمات من السلطان إلى نائبي حلب ودمشق بتلقي الرسل وإكرامهم.[١]

ولم يمض على قدوم هذا السفير زمن طويل حتى وصل رسل الإيلخان أبي سعيد ومعهم كتاب يتضمن عدة شروط لعقد اتفاقية صلح وسلام بين الدولتين.[٢]

ويبدو أن كلا من الطرفين المغولي والمملوكي كان يحمل رغبة صادقة في إجراء هذا الصلح والمحافظة عليه ، وأن أبا سعيد بتمسكه بالمذهب السني وحرصه على إيفاد المحمل الى الحج قد عزز الشعور بذلك لدى الناصر محمد بن قلاوون.

---

[١] المقريزي : السلوك ٢/ ١ / ٢٠٩.

[٢] جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ٢٠٧.

وكان من أهم هذه الشروط :

أولاً : لا يسمح للإسماعيلية الفداوية بدخول بلاد المغول.

ثانياً : منح حق اللجوء السياسي لأى فرد من البلدين يلجأ إلى البلد الآخر، فلا يرد أي فرد لجأ من مصر إلى بلاد المغول، ومن يلجأ من المغول إلى مصر لا يرد إلى بلده الا برضائه.

ثالثاً : ألا يعهد السلطان المملوكي إلى الأعراب البدو أو التركمان بالإغارة على بلاد المغول.

رابعاً : أن تفتح الطرق وتؤمن بين دولة المماليك ودولة المغول حتى لا يتعطل سير التجارة وكي تتاح الفرصة للتبادل التجارى بين البلدين.

خامساً : أن يسمح بخروج المحمل كل عام من العراق إلى الحجاز رافعاً علم سلطان مصر مع علم الإيلخان ابى سعيد.

سادساً : أن يصرف السلطان المملوكي النظر عن قرا سنقر حاكم مراغة فلا يسعى للقبض علية أو قتله.[١]

وقد جمع السلطان الناصر محمد بن قلاوون القادة والأمراء واستشارهم فى عقد هذه الاتفاقية، فأتفق الرأي على توقيع الصلح بهذه

(١) المقريزى : السلوك ٢/١/ ٢٠٩ - ٢١٠

الشروط، وجهزت الهدايا للإيلخان أبي سعيد فرحاً بهذه المناسبة، وقد بلغت قيمة الهدايا أربعين ألف دينار، وكان من بينها قباء تترى وقرقلات وغيرها، وأوفد الرسل بالهدايا وهم يحملون موافقة السلطان المملوكي على عقد هذه الاتفاقية، وسافر المجد السلامي مع البريد وقبل خروج الرسل حتى يبشر الايلخانيين بقدومهم وبصحبتهم الهدايا.[1]

ثم قدم المحد السلامي إلى مصر في سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وعلى يده كتاب ابى سعيد يتضمن الموافقة على هذا الصلح، وأتى الرسل بعده بالهدايا من التحف الجليلة والنفائس القيمة [2] فقبلت الهدايا منهم، وجهز الناصر مع المجد السلامي هدية لأبي سعيد تليق به[3] كان من بينها خمسون جملاً وخيول.[4]

ويشير ابن حبيب إلى الفرحة التي عمت البلاد بهذا الصلح فيقول: في هذا العام انتظمت عقود الصلح بين السلطان المملوكي وبين أبي سعيد وقبل كلاً منهما هدية الآخر واستقرت الخواطر، وتأرجت الأرجاء بنسمات هذا الخبر العاطر.[5]

ورغم الفرحة التي عمت أرجاء البلدين فأن الايلخان أبا سعيد كان يخشى أن ينقض المماليك هذا الصلح فأرسل رسله كي يستوثق من إتمام هذا الصلح فقدم الرسل سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م بصحبة الأمير حسن بن

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٠.
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٤٨٧/٧.
(٣) النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ١٢.
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٤٨٨/٧.
(٥) ابن حبيب : تذكرة النبية ١١٥/٢/١١٦.

شادى بن سونجاق وقاضى قضاة تبريز نصر الدين محمد بن محمد القزوينى الشافعى على رأس وفد من أعيان الدولة الإيلخانية فاستقبلهم السلطان المملوكى، وأنزلهم بقلعة الجبل، وعادوا بعد أن أكرمهم السلطان وخلع عليهم[1] ولعل الذى دفعه إلى ذلك موقفه المؤيد لملك أرمينية ليون الذى طلب منه المدد سنة ٧٢٢هـ ضد المصريين الذين كانوا يتحركون للهجوم عليه فأرسل له عدداً من الجند يصل إلى ٢٠٠٠٠ جندي لمساعدته، وقبل أن يصل هؤلاء الجنود قامت الجيوش المملوكية بشن هجوم كبير على أرمينية وتمكنت من هزيمتها وأضطر ملكها ليون لطلب الصلح وعقد معاهدة صلح مع الملك الناصر تنص على عدم شن الحرب على أرمينية مدة خمس عشرة سنة وقبل أن يكون تابعا للسلطان الملك الناصر الذى أعطاه الخلع والتشريفة.[2]

ولإحساس أبى سعيد بالخوف نتيجة لما حدث منه تجاه أرمينة فأنه أرسل رسله فى العام التالى إلى مصر يريد توكيد الصلح بالحلف بالإضافة إلى الكتابة، ووصلت الرسل إلى قلعة الجبل فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٢٣هـ / أول يوليو ١٣٢٢م، وكانوا ثلاثة من مقدمي التوامين[3] مثلوا بين يدى السلطان الذى أحسن إليهم وأكرمهم وأجلسهم فى مجلسه وأدوا الرسالة، وكان مضمونها توكيد الصلح والحلف على ذلك،

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٤١.

(٢) فؤاد الصياد : الشرق الاسلامى ص٤٨٤.

(٣) مقدموا التوامين فى إيلخانية المغول نظراء لمقدمى الألف فى سلطنة المماليك (النويرى: نهاية الأرب ٦١/٣٣ حاشية ١).

فحلف لهم السلطان مؤكدا على إتمام الصلح وعدم نقضه[١] ثم سافروا بالهدايا الجليلة بعدما غمرهم إحسان السلطان المملوكي واطمأنوا إلى رغبته الأكيدة في إتمام هذا الصلح.[٢]

وسافر الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي رسولاً من قبل الناصر محمد بن قلاوون إلى الايلخان أبى سعيد ليحلفه على انتظام الصلح وإطفاء نار الحرب وكف الغارات من الطرفين[٣] ثم عاد الأمير أيتمش من عند أبى سعيد وقد حمل معه نسخة الإيمان التى تتضمن حلف أبى سعيد ونائبه جوبان والوزير على إتمام الصلح وأشار إلى إعلان الإيلخانيين للناس انتظام الصلح بينهم وبين المماليك فى خطبة يوم الجمعة بمدينة تبريز ثم اظهر ما انعم عليه أبو سعيد به من الهدايا التى قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم قدمها أيتمش للسلطان المملوكى وحلف ألا يأخذ منها شيئا.[٤]

وبعد عدة أيام قدم المجد السلامى من بلاد الإيلخانيين يفيد هو الآخر أيضا بانتظام الصلح ومعه هدايا جليلة للسلطان[٥]، فأصدر السلطان أمرا بمكافأته نظير ما قام به من جهد كبير فى سبيل إتمام هذا الصلح ورتبت له الرواتب السنية، وكتب له مسموح بخمسين ألف درهم فى السنة، ومرسوم بمسامحته نصف المكس عن تجاراته.[٦]

---

(١) المصدر السابق ص ٦١ – ٦٢.
(٢) المقريزى : السلوك ٢/١/٢٤٥.
(٣) النويرى : نهاية الأرب ٦٢/٣٣
(٤) المقريزى : السلوك ٢/١/٢٤٢
(٥) المصدر السابق ص ٢٤٦.
(٦) المصدر السابق.

نتائج الصلح بين الإيلخانيين والمماليك :

توطدت عرى الصداقة والعلاقات الطيبة بين المماليك والايلخانيين بهذا الصلح الذى يعد نقطة تحول فى تاريخ العلاقات بين الدولتين حيث حلّ الوئام محل الخصام وهدأت الأوضاع فى المنطقة، وسادها جو السلام والأمن، ولم نعد نسمع عن حروب طاحنة بين المماليك والمغول من نوع الحروب التى شهدها القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادى[1]، فقد اختفت مظاهر العداء التى كانت سائدة بين الإيلخانيين وسلاطين المماليك وظهر بديلاً عنها مظاهر أخرى تؤكد أن الدولتين قد ارتبطتا برباط قوى من الصفاء والود والإخاء، وكان من مظاهر هذا الصلح ونتائجه ما يلى:

أولاً : تواتر تبادل الرسل بين الدولتين لتوطيد أواصر الصداقة

بدأ تبادل الرسل بين الإيلخانيين والمماليك عقب توقيع معاهدة الصلح والحلف عليها لتوطيد أواصر الصداقة والعلاقات الودية بين الطرفين فيذكر أبو الفداء فى حوادث سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م قدوم رسل أبى سعيد على رأسهم الأمير طوغان والطواشي ريحان خازن دار أبى سعيد، ووصول الأمير حمزة رسولاً من قبل نائب السلطنة الأمير جوبان وكان أبو الفداء حاضرًا أثناء استقبال السلطان لهم وشاهدهم وهم يقدمون الهدايا ويصفها بقوله: "وأحضر المذكورون التقدمة وأنا حاضر وهى ثلاثة أكاديش[2] بثلاثة سروج ذهب

---

[1] فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى ص٤٨٢.

[2] الأكاديش: جمع مفرده إكديش وهو الحصان الهجين الأعجمى فى مقابل العراب وكانت تجلب من بلاد الروم والترك وغالباً ما كانت مشقوقة الأنف وهى صبورة على السير، سريعة المشى (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص٩).

مرصعة بأنواع الجواهر وثلاثة حوايص[١] ذهب مجوهرة، وسيف غلافه ملبس ذهبا مرصع جواهر وعدة أقبية[٢] من نسيج وغيره مستنجية وجميعها بطرز زركش[٣] ذهب، وشاش[٤] فيه قبضات عدة زركش ذهب، وأحد عشر بختيا[٥] مزينة أحمالها صناديق مملوءة قماش من معمول تلك البلاد وعدتها سبعمائة شقة[٦] قد نقش عليها ألقاب السلطان"[٧] فقبل السلطان منهم هذه الهدايا الجليلة و غمر الرسل ببعض التشاريف والأنعام[٨] وحضروا معه احتفال البلاد بعيد الأضحى المبارك، وخلع عليهم عدة هدايا ثم منحهم مبالغ من المال تزيد على مائة ألف درهم وأمرهم بالعودة إلى بلادهم.[٩]

وأمر السلطان بتجهيز الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي الناصري برسالة يشكر فيها أبا سعيد على هداياه[١٠] ومع الرسالة هدايا جليلة لكل من

---

[١] الحوايص: جمع مفردة الحياصة، وهى الحزام الذى يوضع فى وسط جسم الدابة أو على فخذيها تحت ذيلها لتثبيت السرج للركوب (المرجع السابق ص٦٥).

[٢] الأقبية: نوع من القماش يغطى الرأس مصنوع من الحرير للصيف وهى تميز الأقبية التترية التى كانت بمثابة معاطف من الصوف أو القطن (ماير: الملابس المملوكية ص٤٤).

[٣] الزركش: الحرير المنسوج بالفضة والأصح بالذهب لأنه مركب من زَرّ أى ذهب ومن كَشْ أى ذو (أدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعرب المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩٠٨م ص ٧٨).

[٤] الشاش: قماش يوضع على العمائم ويزخرف بالذهب واللؤلؤ، والجمع شاشات (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص٧٠).

[٥] البختى: الواحد من الإبل الخراسانية وهى جمال ضخمة ذات سنامين ووبر أسود تستعمل فى أسفار الشتاء والجمع بختى ويخت (المرجع السابق ص٣١).

[٦] الشقا والشقة: قماش من الصوف مبطن بشعر دقيق ناعم (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص٩٩).

[٧] أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٩٣/٣.

[٨] النويرى: نهاية الأرب ٣٣/ ٧٢.

[٩] أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٩٤/٣.

[١٠] النويرى: نهاية الأرب ١٩٩/٣٣.

أبى سعيد ونائبه جوبان[١] ووصل رسول الملك الناصر إلى أبى سعيد سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م[٢] وعاد إلى مصر فى العام نفسه[٣] ثم حضر رسولان فى العام التالى من جهة الأمير جوبان نائب أبي سعيد ووقفا بين يدي السلطان حيث استمع إلى كلامهما، وخلع عليهما وأعادهما[٤] بعد أن أمر الأمير قطلوبغا المعروف بالمغربى بالخروج معهما لتوصيلهما وتوديعهما فأوصلهما إلى إلبيرة مكرمين ثم عاد إلى البلاد.[٥]

ويبدو أن رسولي جوبان قد حضرا ليخبرا السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون بالخلاف الذى حدث بين جوبان وأبى سعيد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م[٦] حيث تلاهما حضور رسل أبي سعيد بكتابه وفيه بعد السلام والاستيحاش وذكر الود إخبار السلطان بأمر جوبان وتحكمه وقلة امتثاله للأمر وأنه قصد قتل الإيلخان والتحكم بمفرده فى السلطة ولما تحقق أبو سعيد من ذلك أرسله إلى خراسان ثم سيّر بالقبض عليه، وهو يأخذ رأى السلطان فى ذلك ثم أعطوا هدية الإيلخان للسلطان.[٧]

---

[١] أبو الفداء: المختصر ٣/٩٤.
[٢] النويرى: نهاية الأرب ٣٣، ١٩٩.
[٣] المصدر السابق.
[٤] المصدر السابق ٢٢٠.
[٥] أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٣/٩٤.
[٦] كان جوبان بن تلك بن تدوان نائبا لأبى سعيد واستبد بالحكم وأناب ولده دمشق خواجا بالأردو وأرسل ابنه تمرتاش نائبا على بلاد الروم (آسيا الصغرى) ولم يبق لأبى سعيد من السلطة شئ مما أغضب أبا سعيد فأخذ يتحين الفرصة للخلاص من جوبان، وحدث أن تحرك بعض الثائرين وأعلنوا التمرد والعصيان فى خراسان فتقدم جوبان لقتالهم فلما ابتعد عن الأردو وقبض أبو سعيد على دمشق خواجا وقتله بظاهر مدينة السلطانية فى شوال ٧٢٧هـ/أغسطس ١٣٢٧م وكتب إلى من خرج من قادة الجيش مع جوبان بما حدث وأمرهم بالقبض عليه، فلما علم جوبان بما فعله أبو سعيد حشد جيشا وخرج لقتال أبى سعيد، وانتهت الفتنة بمقتل جوبان وانتصار أبى سعيد عليه (البدليسى: شرفنامه ٢/٢٩-٣٠) ابن بطوطة: تحفة النظار ١/٢٣٦، المقريزى: السلوك ٢/١/٢٩٣).
[٧] المقريزى: السلوك ٢/١/٢٩٤.

وعاد رسل أبى سعيد مرة أخرى فى العام التالى يخبرون السلطان بهروب جوبان وانتصار أبى سعيد عليه ويبشرونه باستقرار الأمور والأحوال فى المملكة الإيلخانية وأن أبا سعيد مقيم على الصلح والمودة، وطلبوا من السلطان استمرار معاهدة الصلح بينهم، فاستجاب لهم، وأحضرهم عند الأهرامات ثم أنزلهم فى خيمة أعدت لهم، وأدرّ عليهم الإنعامات الوافرة وبالغ فى الإحسان إليهم ثم أمر بتسفيرهم بعد أن أنعم على كل من كان فى صحبتهم من أتباعهم الذين بلغ عددهم نحو مائة نفر.[١]

ولما تولى الشيخ حسن الجلايرى نيابة السلطنة فى الدولة الإيلخانية، وصار الشخصية البارزة فى بلاط أبى سعيد بعد مقتل جوبان أرسل رسلاً من قبله سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م[٢]، ومعهم هدية من جهته إلى السلطان كان من ضمنها بعض الأقمشة وفهدين، فقبل السلطان الهدية وعومل رسل حسن الجلايرى بما جرت به عادة أمثالهم.[٣]

وحدث أن خرج السلطان الناصر إلى نواحى قليوب سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م للصيد فوقع عن فرسه وانكسرت يده اليسرى، ثم عولج على يد أحد المجبرين وعوفى[٤] فلما علم بذلك الإيلخان بو سعيد قدمت رسله[٥] وعلى رأسهم الأمير حمزة، وكان مضمون رسالتهم السلام على السلطان وتهنئته بالعافية والسلامة، وغير ذلك من الكلام المحبب للخواطر

---

(١) أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٩٧/٣.
(٢) المقريزى: السلوك ٢١٠/٢/٢.
(٣) النويرى: نهاية الأرب ٢٨٠/٣٣.
(٤) المصدر السابق ص٣٠٠.
(٥) المقريزى: السلوك ٣٢٠/٢/٢.

والمستميل للقلوب وعادوا إلى مرسلهم بعد الإنعام والتشريف الذى شملهم به السلطان.[1]

وبعد رحيل المذكورين وصلت رسل الشيخ حسن الجلايرى نائب أبى سعيد فأدوا رسالتهم المتضمنة أيضاً تهنئة السلطان بالشفاء والمعافاة وعادوا إلى بلادهم[2] ثم قدم مملوك المجد السلامى من بلاد الايلخان سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م ومعه كتاب من أستاذه وبصحبته رسول أبى سعيد فنزلا بدار الضيافة، بعد أن أعطوا الكتاب للسلطان وكان يتضمن أن الايلخان أبا سعيد قد مرض مرضاً شديداً، وتصدق بمال كثير، وكتب بإسقاط المكوس عن تبريز وبغداد والموصل[3] فلما علم الناصر بأنباء مرض أبى سعيد تألم لذلك وضاق صدره من الحزن وكتب للسلامى أن يسرع ويخبره إذا حدث لأبى سعيد مكروه أو توفاه الموت.[4]

ثانياً: تعاون الطرفين ضد الخصوم

وكان من أثر هذا الصلح أن اتفق الطرفان على التعاون سوياً من أجل التصدي للخصوم والقضاء عليهم إذا لزم الأمر، وقد وضح ذلك عندما اختلف مهنا بن عيسى شيخ أعراب آل فضل مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وذهب إلى الإيلخان أبى سعيد ليقيم عنده، وكان

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ٣٠٥/٣٣.
(٢) المقريزى: السلوك ٣٢٠/٢/٢.
(٣) المصدر السابق ص٣٨٩.
(٤) اليوسفى: نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر ص٢٨٣، ط أولى١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

أبو سعيد يعلم ما حدث بينه وبين السلطان المملوكي لكنه استقبله لأن هناك بنداً في المعاهدة يسمح لأي شخص من البلدين باللجوء إلى البلد الآخر دون معارضة، ولذا أقام مهنا بن عيسى شهراً في إيران[1]، لكن كبار رجال الدولة عند أبي سعيد كانوا يخشون غضب السلطان المملوكي، ويريدون لمعاهدة الصلح أن تستمر بين الطرفين دون عقبات أو عوائق فعاملوا مهنا بن عيسى معاملة غير طيبة، وأغلظ الوزير له في القول، وعمل كلام الوزير في نفسه إلى أن وجد منه حرجاً عظيماً وأحسّ أنه شخص غير مرغوب فيه، فقرر الخروج من إيران ولم يعد بعدها فأرسل مجد الدين السلامي مملوكه يعرِّف الناصر محمد أن مهنا خرج من عند أبي سعيد، وحكى له كيفية خروجه فسرّ السلطان بذلك.[2]

واضطر مهنا إلى العودة لبلاد الشام ومنها إلى مصر حيث اعتذر للسلطان الذي قبل عذره، وخلع عليه وعلى أصحابه سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م.[3]

وطبقاً لشروط المعاهدة أيضاً قرر تمرتاش (دمرداش) بن جوبان نائب أبي سعيد ببلاد الروم (آسيا الصغرى) الفرار إلى مصر لاجئاً[4] بعد أن علم بخبر مقتل أخيه دمشق خواجا ووقف على ما آل إليه أمر أبيه من القتل أيضاً فخشي أن يغدر الإيلخان به فقرر الذهاب إلى مصر سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م[5] واستأذن السلطان الناصر محمد في ذلك[6] رغم أنه

---

[1] المصدر السابق ص٢٠٠.
[2] المصدر السابق.
[3] المقريزي: السلوك ٢/٢/٣٧٢-٣٧٤.
[4] البدليسي: شرفنا مه ٢/٣٠.
[5] المقريزي: السلوك ٢/١/٢٩٣.
[6] النويري: نهاية الأرب ٢٣/٢٥٣.

كان يضيق على اتباع السلطان الذين يفدون إلى بلاده ويمنع التجار وغيرهم من إرسال المماليك إلى مصر، وحاول الناصر محمد أن يهاديه ويترضاه، لكنه لم يلتفت إليه مما اضطر السلطان إلى الكتابة شاكيا لأبيه الأمير جوبان الذى أرسل إليه يستنكر ما يفعله مع السلطان الملك الناصر ويطلب منه إرضاءه، فما كان منه إلا أن أمسك عما كان فيه قليلاً وخفف من شدته تجاه السلطان.[1]

لذا بادر السلطان بالاستجابة لطلبه ومنحه حق اللجوء إلى مصر، وربما وجدها الناصر فرصة للانتقام من هذا الأمير المتعنت فكتب إلى نوابه بالشام يطلب منهم تلقيه[2] فحضر تمرتاش بعدد من أصحابه وخدمه وأمواله فأكرمه السلطان فى بادئ الأمر كرما كبيرا[3] لكنه بادر بطلب المدد من العساكر المصرية لقتال الإيلخان أبى سعيد.[4]

ولم يكن السلطان المملوكى ليسمح له بذلك حتى لا ينقض معاهدة الصلح التى تمت بينه وبين الإيلخانيين وإنما جعل من وجوده فى مصر ورقة رابحة يستطيع أن يستفيد بها فى الوقت المناسب، ولم يستمر الأمر طويلا إذ حضرت الرسل من عند الإيلخان أبى سعيد يطلبون تمرتاش بحكم الصلح وما استقرت عليه القواعد فرأى الناصر من المصلحة القبض

---

[1] المقريزى: السلوك ٢٩٢/١/٢.
[2] النويرى : نهاية الأرب ٢٥٣/٣٣.
[3] ابن حبيب : تذكرة النبيه ١٨٠/٢.
[4] ابن بطوطة : تحفة النظار ٢٣٨/١.

على تمرتاش وسجنه بالإضافة إلى بعض الأسباب الأخرى التى ساعدت على اعتقاله ومنها معاملته القاسية لأهل بلاد الروم (آسيا الصغرى) وظلمهم الظلم الفاحش[1] وحبه للتظاهر والتفاخر والإزراء بالملك الناصر فحينما كان الناصر يرسل إليه بكسوة يعطي من يوصلها إليه كسوة أحسن منها[2] وإسرافه في توزيع أغنامه التى وردت إليه من بلاد الروم على بعض الأمراء وإثارة الأحقاد بين الأمراء والخاصكية[3] مما أغضب السلطان منه.[4]

وقد جرت المفاوضات بين أبى سعيد والناصر محمد من أجل تسليم تمرتاش، فأرسل أبو سعيد رسله فى الحادى عشرى من رمضان ٧٢٨هـ، وكانوا ثلاثة نفر على رأسهم أباجي أمير جاندار[5] الإيلخان، ومعهم كتاب يتضمن رغبة أبى سعيد فى إرسال تمرتاش إليه على أن يقوم من جانبه بإرسال الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى فمال الناصر محمد بن قلاوون إلى تحقيق هذه الرغبة، وقرر إرسال الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى لإتمام ذلك لكنه ما لبث أن عدل عن هذا الأمر وعمل على قتل تمرتاش.[6]

---

[1] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٩٩/٣.

[2] ابن بطوطة : تحفة النظار ٢٣٨/١.

[3] الخاصكية : لفظ مملوكى مفرده الخاصكى، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا فى خدمته صغارًا ويجعلهم فى حرسه الخاص وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون إلى السلطان فى أوقات فراغه وخلواته وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص٦٥).

[4] المقريزى: السلوك ٢٩٧/١/٢.

[5] أمير جاندار: لفظ فارسى مركب من كلمتين جان: بمعنى الروح ودار بمعنى الممسك أو الحافظ أى الأمير الممسك للروح ويعنى الحافظ للسلطان فلا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يثق به (ادى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص٤٧).

[6] النويرى: نهاية الأرب ٢٥٦/٣٣.

ولعل الناصر محمد خشى إن أرسل تمرتاش إلى أبى سعيد أن تشفع له أخته ببغداد خاتون زوجة أبى سعيد فيعفو عنه، وقد يرسله مرة أخرى إلى بلاد الروم فيضيق على اتباع السلطان كما كان يفعل من قبل، وبخاصة أن أهله وأبناءه رفضوا الحضور إلى مصر حينما وصلهم كتاب السلطان وقالوا: "لا حاجة لنا فى مصر".

وذكر بدر الدين محمود امير بنى قرمان[1] أن رفضهم هذا بمباطنة تمرتاش لهم[2] وأوحى البعض إلى السلطان بأن عدم مجيئهم إلى مصر إنما هو بناء على أمر تمرتاش الذى كان خياله يراوده فى العودة إلى بلاد الروم واستعادة ملكه هناك.[3]

ونظرًا للعلاقات الحسنة التى ربطت البلاط الإيلخانى بنظام الحكم المملوكى وجد السلطان الناصر أن بقاء تمرتاش فى مصر سيكون مصدر إزعاج له فاستقرّ الرأى على القضاء عليه، واقتضت المصلحة إعدامه، ونفذ الحكم فى شوال ٧٢٨هـ/ أغسطس ١٣٢٨م بحضور "أياجى" رسول أبى سعيد[4] ثم قطعت رأسه وأرسلت إلى أبى سعيد.[5]

---

(١) إمارة بنى قرمان (٦٥٤-٨٨٨هـ/ ١٢٥٦-١٣٨٤م) كانت إمارة بنو قرمان واحدة من الإمارات التى قامت على أنقاض الدولة السلجوقية، وكانت أهم مدنها ارمناك، قرمان (لارندة) قونية، اركلى، أقسراى، ومؤسس هذه الإمارة كريم الدين قرمان بن نوره صوفى، وأشهر أمراء هذه الإمارة الأمير بدر الدين محمود الذى قام ابن بطوطة بزيارته سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م وهو الذى استطاع الاستقلال بإمارته عقب انهيار دولة سلاجقة الروم فلما توفى تولى أبناؤه من بعده حتى سقطت الإمارة على يد العثمانيين (ابن بطوطة: الرحلة ج١ ص٢٩١، ابن البيبى: مختصر سلجوقنامه ص٢٣٢، القرمانى: أخبار الدول وأثار الأول ٢/ ٥١١، خليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية ٢/ ٤١٦، كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٨٠).

(٢) المقريزى: السلوك ٢/ ١/ ٢٩٦.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى ص٤٦٣.

(٤) أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر ٣/ ٩٩.

(٥) المقريزى السلوك ٢/ ١/ ٢٩٩.

ولم تكن هذه المحاولة لتتم دون علم أبى سعيد بها ودليلنا على ذلك أن أبا سعيد نفسه أرسل فى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م كتابا إلى الملك الناصر بصحبة قطلبك مملوك الخواجة مجد الدين السلامى يذكر فيه أن ثمة شخص من أعدائه سيؤدى فريضة الحج فى هذا العام، ويسأل السلطان مساعدته فى قتله وأخذ ماله حتى لا يعود إلى البلاد لأن فى عودته فساد كبير ويخشى عاقبته.[1]

وعلى هذا لم يكن أبو سعيد ليكتب هذا الكتاب ويطلب منه المشاركة فى قتل هذا الرجل بموسم الحج لولا علمه بما حدث لأمير الركب العراقى وموافقته عليه.

ولذا قام الناصر بإعداد تدبير محكم لقتل هذا الرجل ويدعى "ياسور" وكان أبو سعيد لما قتل الأمير جوبان أراد إقامة ياسور مكانه لأنه من أسرة جنكيز خان ومن القادة الكبار فى الايلخانية[2] لكن المقربين من أبى سعيد شككوا فى ولائه، وذكروا للإيلخان أن جوبان كان يريد إقامته على الملك فنفر منه أبو سعيد وخشى أن تحدثه نفسه بالاستيلاء على المملكة[3] فلما استأذن ياسور لتأدية فريضة الحج فى موسم سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م جهزه أبوسعيد بجميع ما يحتاج إليه وأنعم عليه بعشرة طوامين، وأمر أمير الركب العراقى أن يكون فى خدمته[4] ثم كتب إلى الملك الناصر يسأله فى قتله لتخوفه من اجتماع المغول عليه ضد أبى سعيد.[5]

---

(1) اليوسفى: نزهة الناظر ص١٧٠.
(2) المقريزى: السلوك ٢/٢/٣٦٧.
(3) عبد القادر الجزيرى: الدرر الفرائد ٦٣٩/١.
(4) اليوسفى: نزهة الناظر ص١٧٠.
(5) عبد القادر الجزيرى: درر الفرائد ٦٣٩/١.

ويبدو أن أبا سعيد أراد إرسال الأمير شمس الدين قراسنقر إلى السلطان المملوكي حتى لا يكون هو الآخر مصدر إزعاج له، فأمر أن يحمل إليه، فلما علم الأمير سنقر بذلك نزع خاتماً من إصبعه، وكان هذا الخاتم مجوفا وبه سم ناقع فامتص سنقر السم ومات على الفور فأرسل أبو سعيد يخبر الملك الناصر بذلك وإن لم يبعث له برأس سنقر.[١]

ثم حدث أن قامت فتنة كبرى فى مكة سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م وكان سببها محاولة اغتيال محمد الحجبج[٢] أمير ركب الحاج العراقي وكان هذا الرجل من أهل تبريز واتصف بالهزل والمجون، واتصل بأولاد الأمير جوبان، وتقرب عن طريقهم إلى أبي سعيد الذى بعثه رسولاً إلى الملك الناصر فأكرمه، وتردد إليه مراراً، ثم بلغ الناصر عنه ما أغضبه فأسرها في نفسه إلى أن بلغه مسيره بركب الحاج من العراق فدبر له مؤامرة للقضاء عليه[٣] واتفق سرًا مع أمير مكة الشريف عطيفة الحسني أن يتحين فى قتله، فحاول عبيد مكة قتله فتصدى لهم الأمير سيف الدين ألدمر أمير جاندار الملك الناصر، وقامت معركة بين الأمير المملوكي وأعوانه ضد عبيد مكة وهو لا يعلم أن الأمر بتدبير الملك الناصر فقتل الأمير سيف الدين ألدمر وولده، ولم تؤد هذه الفتنة إلى هدفها حيث نجا أمير الركب العراقي.[٤]

---

[١] ابن بطوطة: تحفة النظار ٩٥/١.

[٢] ورد اسم هذا الرجل عند النويري وابن فهد والجزيري "محمد الحجيج" أما المقريزي فيجعله "محمد الحويج" (انظر: النويري: نهاية الأرب ٣١٠/٣٣، ابن فهد اتحاف الورى ١٨٩/٣، المقريزي: المقفى الكبير ٢٨٠/٢).

[٣] المقريزي: المقفى الكبير ٢٨٠/٢.

[٤] النويري: نهاية الأرب ٣١٠/٣٣ ، ابن فهد: اتحاف الورى ١٨٩/٣ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٢/٩ ، تقي الدين الفاسي: العقد الثمين ٣٢٧/٣.

فلما وصل كتاب أبى سعيد إلى السلطان الملك الناصر رسم بطلب دليلين من العرب وأعطاهما الهجن السريعة وأرسل معهما كتاباً للأمير سيف الدين بُرُ سُبُغا الحاجب وأفهمه المقصود فيه، وطلب منه أن يشرك فى أمره الشريف عطيفة والشريف رميثة من أمراء مكة.[١]

ورفض أميرا مكة المشاركة فى هذه المؤامرة وقالا: "والله يا أمير ما أحد منا يمكنه أن يفعل شيئا من هذا مع ملوك، ولا يليق بنا، ونبقى أعداء لهؤلاء القوم، وربما حصل لنا من ذلك الضرر"[٢] فلما رأى إحجامهما وعدم موافقتهما قرر أن يعتمد على نفسه فاتفق مع أحد الأعراب أن يقوم بتنفيذ المهمة ووعده بأن يعطيه مالاً وافرا.[٣]

فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر وركب ياسور فى اليوم الثانى للنحر كي يرمى الجمار، ركب برسبغا خلفه، وعندما اقترب ياسور من الجمار وثب عليه الأعرابى وضربه ضربة قاتلة فسقط على الأرض مضرجا فى دمائه وهرب الأعرابى ناحية الجبل فتتبعه مماليك برسبغا، وقاموا بقتله خشية أن يعترف على الأمير[٤] فاضطرب حجاج العراق، وركبوا إلى برسبغا مستنكرين ما حدث لهذا الرجل فأبدى لهم أسفه وترحم على الرجل، وقال لهم: إنى أخذت لكم بثأره وقتلت قاتله فانصرفوا عنه غاضبين[٥] فلما رأى أمير الركب غضبهم وثورتهم قال

---

(١) اليوسفي: نزهة الناظر ص١٧٢.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المقريزى: السلوك ٣٦٧/٢/٢.
(٤) عبد القادر الجزيرى: درر الفرائد ٦٤٠/١.
(٥) المقريزى: السلوك ٣٦٧/٢/٢.

لهم: والله من حيث خرج ياسور من عند أبى سعيد وسافر معنا علمت أنه يقتل، وأنه لا يعود إلى العراق فإما كان قاتله معنا يراقبه أو سيرّ إلى صاحب مصر بقتله له مثلما قتل تمرتاش بن جوبان، فلما سمعوا كلامه سكنوا وقاموا بدفن ياسور.[1]

ومما لا شك فيه أن أمير الركب العراقى كان يعلم حقيقة الأمر لكنه لم يكن ليجرؤ على التصريح إمامهم بذلك خوفاً من انتقام أبى سعيد.

ثالثاً: التعاون فى تأمين قوافل الحجيج

توثقت العلاقات بين الناصر محمد والإيلخان أبى سعيد بن خدابنده، واعترف كل منهما براية الآخر فى الحج[2] وكتب السلطان المملوكى لصاحب مكة بإكرام حجاج العراق، والدعاء لأبى سعيد بعده على منابر مكة[3] وبدأ تنفيذ الشروط التى تم الاتفاق عليها فى معاهدة الصلح وتأكد ذلك سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م حين قدم مملوك المجد السلامى مع رسولى أبى سعيد وجوبان وأخبروا السلطان الناصر محمد بوصول هدية من الإيلخان أبى سعيد وطلبوا تجهيز السنجق السلطانى ليسير مع الركب العراقى إلى الحجاز فسيُر سنجق[4] حرير أصفر بطلعة ذهب وكتب لصاحب مكة بإكرام حاج العراق.[5]

---

[1] اليوسفى: نزهة الناظر ص١٧٥.
[2] الدوادارى : الدر الفاخر ص٣١٢.
[3] المقريزى: السلوك ٢/١/٢١١.
[4] السنجق: لفظ تركى استعمل بمعنى العلم أو الراية وبمعنى الرمح أو اللواء وفارسيته سنجوق (أدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية ص٩٥ ومحمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص٩٣).
[5] المقريزى: السلوك ٢/١/٢١١.

كما قدم البريد من نائب حلب يخبر بأن أبا سعيد قد نادى فى مملكته بالحج فتجهز عدد كبير من المغول للخروج فى هذا العام، وأبلغ نائب حلب السلطان المملوكي بأنه يخشى على الركب العراقى من عرب مهنا بن عيسى لأن فياضا وسليمان ابنى مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجارة[1] فأمر السلطان باستدعاء سيف بن فضل شقيق مهنا واتفق معه على أن يمنع أخاه مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق وأرسل ابنه موسى كى يخبر السلطان بأنه لم يتعرض للركب فأكرمه السلطان، وخلع عليه وعلى من معه.[2]

ونجح السلطان فى منع الأعراب من التعرض لهؤلاء الحجاج مما جعلهم يحضرون فى العام التالى ويشكون للسلطان ضيق الحال نظرًا لوقوع الصلح مع أبي سعيد وتوقف غاراتهم على الممتلكات المغولية فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم وأعادهم إلى بلادهم[3]. ووصل وفد الحاج العراقى آمناً وفيه خلق كثير وبه جماعة من أمراء المغول ومعهم محمل[4] من جهة الإيلخان ابى سعيد عليه غشاء أطلس مرصع بأنواع الجواهر والياقوت واللآلئ والزمرد، وكان مع

---

[1] المصدر السابق ٢١٢.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] المصدر السابق ٢٤٦.

[4] كان المحمل يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا العينية والنقدية إلى الكعبة المشرفة، ولقد تبارى ملوك المسلمين وأمراؤهم فى إرسال المحامل التى تحمل هداياهم إلى الحرمين الشريفين كل عام وكان خروج المحمل فى موسم الحج بموكب رسمي تحيط به مظاهر الأبهة والزينة من الأمور التى حدثت زمن سلاطين المماليك وصار خروج المحمل على تلك الصورة عادة يقومون بها كل عام وكان المحمل يجهز من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بهذه الكسوة ويأخذ سدنة الكعبة الكسوة التى كانت على البيت فيهدون بها الملوك وأشراف القوم (القلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٦/٤، الخربوطلى: تاريخ الكعبة ص١٨٠، السيد الدقن : كسوة الكعبة ص١٧٩، أحمد السباعى: تاريخ مكة ٢٤٧/١).

أمراء الركب سناجق سلطانية من قبل الملك الناصر، وجعل المحمل العراقي وسناجقه خلف المحمل السلطاني المصري وسناجقه.[1]

وكان لترحيب الناصر محمد وموافقته على مسير المحمل أثر طيب حيث أصبح الحجاج آمنين على أنفسهم من شر اعتداء الأعراب عليهم أثناء الطريق ويتبين ذلك مما حدث سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م فقد تصدى لحجاج العراق ألف فارس[2] من عرب البحرين[3] فأراد الحجاج إعطاءهم ألفي دينار وخمسمائة حتى يسمحوا لهم بالعبور فامتنع الأعراب عن تمكينهم من العبور إلا بثلاثة آلاف دينار، فلما قالوا لهم: إنما جئنا من العراق بأمر السلطان الملك الناصر صاحب الديار المصرية والحجاز وكتابه إلينا[4] أعاد الأعراب المال إليهم، وقالوا لهم: "لأجل الملك الناصر نخفركم بغير شيء"[5] وسمحوا لهم بالمسير إلى بلاد الحجاز.[6]

ولما علم السلطان المملوكي بذلك أحسن إلى تلك الطائفة من الأعراب، وأثابهم على ذلك، وخلع عليهم الخلع السنية[7] وبعث إلى أمراء المغول الخلع والهدايا ودعا لأبي سعيد بعد الدعاء للسلطان على منابر مكة.[8]

---

(١) النويري: نهاية الأرب ٢٣١/٣٢.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ١٧١/٣.
(٣) المقريزي: السلوك ٢١٤/١/٢.
(٤) النويري: نهاية الأرب ٢٣٢/٣٢.
(٥) المقريزي: السلوك ٢١٤/١/٢.
(٦) المقريزي: السلوك ٢ / ١ / ٢١٤.
(٧) النويري: نهاية الأرب ٣٢ / ٢٣٢.
(٨) المقريزي: السلوك ٢ / ١ / ٢١٤.

وبدأ توافد حجاج المغول الايلخانيين بعد تأمين الطرق، فقدمت جماعة منهم سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م وفيهم الملكة قطلو ابنة أباقا بن هولاكو وأخت أرغون وعمة قازان وخدابنده[١] وكان في خدمتها عدد كبير من المغول[٢] فأكرمت ونزلت بالقصر الأبلق وأجريت عليها الإقامات والنفقات إلى وقت الحج[٣] حيث رتبت لها في الطرقات الإقامات الوافرة.[٤]

رابعاً : السماح للأقارب بالعودة أو زيارة ذويهم

بعد أن توطدت أواصر المودة والصفاء بين البلدين بدأ السماح للأقارب في الدولتين بالعودة إلى ديارهم، ومن لا يرغب يسمح له بزيارة ذويه، والبقاء معهم كيفما يريد.

وكان للسلطان الناصرمحمد بن قلاوون أقارب يعيشون في بلاد المغول، فقد كانت والدته مغولية الأصل وهي أشلون خاتون بنت سكتاي بن قراجين بن جنغان نوين التتاري[٥] قدمت مع والدها إلى الديار المصرية سنة ٦٧٤ هـ بصحبة بيجار الرومي، وتزوجها المنصور قلاوون فأنجبت له الملك الناصر محمد[٦] كما كان الناصر محمد متزوجا باثنتين من المغوليات إحداهما تدعى خوند أردوكين أخت الأمير جمال الدين

---

[١] ابن كثير : البداية والنهاية ٧ /٤٩٦.
[٢] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ / ٩٢.
[٣] ابن كثير : البداية والنهاية ٧ / ٤٩٦.
[٤] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ / ٩٢.
[٥] النويري : نهاية الأرب ٣١ / ٩٠ ، المقريزي : المقفى الكبير ٧ / ١٦٢ ترجمة رقم ٣٢٦٥، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٩ / ١٦٤.
[٦] النويري : نهاية الأرب ٣١/٩٠.

خضر بن نوكاى التتارى، وكانت متزوجة من أخيه الملك الأشرف خليل بن قلاوون فلما توفى تزوجها الملك الناصر إلى أن ماتت[١] فتزوج من أميرة مغولية أخرى هى الخاتون دلنبية بنت طغاى بن هندو بن باطو بن جوجى بن جنكيزخان.[٢]

وقد بدأ توافد أقارب الملك الناصر عقب معاهدة الصلح بين الطرفين ففى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م قدمت رسل الأمير جوبان وبصحبتهم سيف الدين طاير بُغا وولده يحيى، وهما من أقارب السلطان فأنعم السلطان عليه بإمرة طبلخاناه[٣] وعلى ولده يحيى بإمرة عشرة.[٤]

وكان طاير بُغا يلى نيابة خلاط[٥] وبينه وبين السلطان قرابة[٦] فكتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه هو وأهله إلى مصر فأرسلهم.[٧]

وفى العام التالى قدمت رسل أبى سعيد وعلى رأسهم الأمير سيف الدين أستدمر وهو من كبار الأمراء مقدمى التوامين[٨] ووصل معهم محمد

---

[١] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ٢٧٥.

[٢] النويرى : نهاية الأرب ٣٢ / ٣٢٣، القلقشندى:صبح الأعشى ٤/ ٤٥١.

[٣] أمراء الطلبخانات هم الأمراء الذين يصح أن تضرب الطبول على أبوابهم ويكون فى خدمتهم من ٤٠ -٧٠ مملوكاً ، ويلى مقدم الألف فى الرتبة أمير الطبلخاة ، أنظر. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص ٢٢.

[٤] أمير العشرة رتبه عسكرية فى الجيش المملوكى ونصيب كل منهم فى الحرب إمرة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة (المرجع السابق).

[٥] خلاط بكسر أوله وآخره طاء مهملة بلدة عامرة مشهورة كثيرة الخيرات وهى قصبة أرمينية الوسطى (صفى الدين البغدادى: مراصد الإطلاع ١ / ٤٧٦).

[٦] النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٢٠٣.

[٧] المقريزى : السلوك ٢ / ١ / ٢٧٣.

[٨] مقدموا التوامين: هو لقب أمراء الجند فى مملكة الايلخانيين وهم أشبه بمقدمى الألوف فى دولة المماليك (النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٢٣١ حاشية (١)، محمد أحمد دهمان معجم الألفاظ التاريخية ص ٤٨).

بيه بن جمق أحد أقارب السلطان، وهو ابن أخت الأمير سيف الدين طاير بغا الذى قدم إلى مصر فى العام الماضي، وقد أنعم السلطان على محمد بن جمق بإمرة طبلخاناة، ثم أعاد الرسل بهدية جليلة.[١]

وقد توجه الأمير حسام الدين حسين بن خربنده إلى بلاد المغول بعد أن أقام فى مصر عدة سنوات وأنعم عليه السلطان بإمرة طبلخاناة فلما وقع الصلح بين الدولتين أرسل المغول فى طلبه وسألوا السلطان إرساله إليهم وذكروا أن له أخوة وعيالاً يبكون عليه فعرض السلطان عليه العودة إلى بلاده فوافق وخلع السلطان عليه وزوده فتوجه عائداً إلى وطنه ثم عاد فى العام نفسه سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م رسولاً من جهة أبى سعيد فسمع السلطان رسالته وخلع علية وأعاده.[٢]

ولما توفى الأمير قراسنقر فى مراغة قرر السلطان عودة أولاده إلى دمشق سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م فسكنوا فى دار أبيهم وأعيدت إليهم أملاكهم.[٣]

وحينما أراد الأمير ناصر الدين محمد بن جمق – وهو من أقارب السلطان – العودة مرة أخرى إلى بلاد المغول سمح له السلطان بالعودة.[٤]

وقد ظل الصفاء سائداً بين دولتي المغول والمماليك حتى توفى أبو سعيد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م.[٥]

---

[١] نهاية الأرب ٣٣ / ٢٣١ – ٢٣٢ ، المقريزى: السلوك ٢/ ١/ ٢٨٣.
[٢] النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٢٢٥.
[٣] ابن كثير : البداية والنهاية ٧ /٥٤٠.
[٤] النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٧٨.
[٥] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ٣٠٩.

وخلاصة القول إن العلاقات بين الإيلخانيين والمماليك قد شهدت فترة زاهرة لم تحدث من قبل وبدت فيها مظاهر الود والوئام واضحة للعيان نتيجة الوفاق السياسى والمذهبى بينهما.

ومما لا شك فيه أن ذلك الوفاق يعود إلى الظروف السياسية التى نشأت آنذاك والتى جعلت كلا منهما بحاجة إلى الارتباط بالآخر، وقوى هذا الارتباط العقيدة الإسلامية الصحيحة التى وجدت طريقا ميسوراً بين الإيلخانيين بصورة جعلتها عقيدة ثابتة ومتينة يزداد أفرادها كل يوم وقد أشاد المؤرخون المصريون بهذه العلاقات فابن تغرى بردى يقول: "وأما أبو سعيد ملك التتار فكانت الرسل لا تنقطع بينهما ويسمى كل منهما الآخر أخاه، وكانت الكلمتان ومراسيم الملك الناصر تنفذ فى بلاد أبى سعيد ورسله يتوجهون إلية بأطلابهم وأعلامهم المنشورة ".[1]

ويشير ابن أيبك إلى توارد الرسل بينهما طوال هذه الفترة بالهدايا والتحف لتوطيد أواصر الصداقة فيقول: "وكانت الرسل تترى بينهما طوال عهديهما محملين بالهدايا الفخمة والتحف المتنوعة لتزيد من أواصر المودة والصداقة والأخوة الإسلامية التى جمعت بين هذين البيتين وذلك المصريين الإسلاميين".[2]

ولعل ما أورده هذان المؤرخان يعد أبرز دليل على مدى الصفاء الذى كان سائدا بين الإيلخانيين والمماليك طوال فترة حكم أبى سعيد.

---

[1] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ٢١١.
[2] ابن ايبك الدوادارى : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ٣٨١/٩.

المبحث الثالث

أثر الاتصال الإيلخاني المملوكي على الحياة الاجتماعية والثقافية

صارت العلاقات بين الإيلخانيين والمماليك طيبة وودية من الناحية السياسية مما أدى إلى ازدهارها وتطورها في الناحيتين الاجتماعية والفكرية، وفي هذا المبحث نتناول التطورات الحضارية التي تبرز تأثر المغول بالإسلام وحضارته في ظل التعاون مع المماليك، والتي بدت واضحة فيما نلمسه من مظاهر حضارية لديهم نتيجة لهذا الاتصال الاجتماعي والفكري مما أحدث تأثيرا واضحا بين الدولتين نبرزه فيما يلي :

أولاً : أثر الاتصال المغولي المملوكي في الحياة الاجتماعية

كانت غارات المغول كارثة كبرى أصابت الحياة في الصميم، واتصفت بالشدة والقسوة، إلا أنها أتت ببعض عناصر الخير، وربما كان من بعض فضائلها أنها مزجت بين الشعوب التي طال ركودها وخمودها فأيقظتها من سباتها وجددت نشاطها، وعملت على تحطيم الحواجز والسدود بين مختلف الأقاليم والممالك[1] ويبدو ذلك واضحاً من خلال الهجرات المغولية إلى مصر التي كان لها دور مؤثر في الناحية الاجتماعية، إذ يذكر العيني في

---

[1] فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ص ١٥.

حوادث سنة ٦٦١هـ / ٦٢- ١٢٦٣م أن نفراً من جنود المغول قد فروا من بين الصفوف بعد هزيمتهم فى عين جالوت واتجهوا إلى سلطان مصر، وأعلنوا إسلامهم وخضوعهم، وكانت كثرتهم العددية التى بلغت زهاء ألف نفس تضم عدداً من أمراء وأعيان المغول، وقد طاب لهم المقام فى مصر ورتب لهم السلطان المملوكى الظاهر بيبرس الاقطاعات والطبلخاناه فضلاً عن الهبات والخلع.[1]

ومما لا شك فيه أن ذلك الترحيب الذى لقيه الفارون من المغول إلى مصر قد وصلت أخباره إلى أسماع بنى جنسهم فى إيران، وظل تأثيره قائماً، وصار له صدى هناك، كما كانت السياسة التى اتبعها سلاطين المماليك الأوائل ابتداء من الظاهر بيبرس لها أثرها الواضح فى تشجيع المغول على الهجرة إلى الديار المصرية، فقد كانت هذه السياسة تهدف إلى التغلغل داخل صفوف المغول واستمالة العناصر المناوئة لنظم الحكم القائمة لديهم حتى يمكن الاستفادة بها فى رصد كل تحركاتهم وسكناتهم.[2]

ومما يؤكد ذلك ما حدث فى سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م حينما فرّ إلى مصر الأمير شمس الدين بهادر بصحبة جماعة من أتباعه هاربا من مغول إيران، لأنه كاتب السلطان بيبرس منا صحا فكشفوا أمره، وقبضوا عليه، لكنه استطاع الفرار من بين أيديهم ولجأ إلى السلطان المملوكى الذى أحسن إليه وأعطاه إمرة عشرين فارساً فى الديار المصرية.[3]

---

[1] العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان حوادث سنوات ٦٤٨هـ - ٦٦٤هـ ج١ تحقيق محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص ٣٦٤.

[2] على السيد : الهجرات المغولية ص ٤٩.

[3] بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، نشر عبد الحميد صالح حمدان- الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧ ص ٧٨.

ومما ساعد على استمرار الهجرات المغولية إلى مصر نجاح السلطان الناصر فى اتخاذ بعض مسلمي المغول فى المناطق المتاخمة لحدود سلطنة المماليك مع دولة مغول إيران ليكونوا عيوناً على هؤلاء المغول يأتون له بأخبارهم، وكان منهم الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا الذى قدم إلى مصر سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م وفى صحبته عدد من أتباعه فأكرم وأعطى إمرة ألف، ويذكر ابن كثير أن هذا الأمير مقدم كبير لدى المغول، وكان يقيم ببلاد آمد، ويناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات المغول ونال هذا الأمير مكانة كبيرة لدى السلطان المملوكى.[١]

ولما تم التوقيع على معاهدة الصلح بين المماليك والايلخانيين قدمت أخت هذا الأمير إلى مصر وبصحبتها جماعة من المغول لكنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام فاستدعى الناصر جماعتها وأقطع أفرادها إقطاعات تقديراً للأمير جنكلى.[٢]

والحقيقة أن معاهدة الصلح كان لها أثرها الواضح فى جذب أعداد كبيرة من مغول إيران إلى مصر والإقامة بها لما وجدوه من ترحيب وحسن عيش وترغيب من أقاربهم بها إلى جانب ما لقوه من ترحاب لدى السلطات الحاكمة التى سعت للاستفادة منهم ومن خبراتهم الحربية التى أهلتهم للانخراط فى سلك الجندية، وتوليهم المناصب المختلفة فضلاً عن الإقطاعات والإمرة[٣] ومن أمثلة ذلك الأمير سيف الدين أرغون شاه الذى

---

[١] ابن كثير : البداية والنهاية ٧ / ٤٠٢.
[٢] ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ٥ / ٢٢.
[٣] على السيد : الهجرات المغولية ص ٥٢.

أهداه الإيلخان أبو سعيد إلى الملك الناصر مع الأمير ملكتمر البوسعيدى وقد حظى أرغون بمكانة كبيرة وترقى حتى صار رأس نوبة الجمدارية[١] لدى السلطان المملوكى[٢]، والأمير باورد بن براجو الذى قدم إلى مصر سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م فأكرمه الملك الناصر وأنعم عليه بخيل ومال وأعطاه إمرة طلبخاناه[٣] وكذلك الحال بالنسبة للأمير يلبغا اليحياوى الذى نال مكانة كبيرة عند الناصر محمد بن قلاوون فأمر باستدعاء والده الأمير سيف الدين طايطا بن عبد الله وولديه الأمير سيف الدين استدمر والأمير قراكز، وبعض أهله فاستقروا فى الديار المصرية، كما وصل إلى مصر سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م الأمير سيف الدين طايربغا وصار من الأمراء المقربين لدى السلطان وكان يفد عليه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة إلى مائة فيبرهم ويصلهم.[٤]

وكان لكوارث الطبيعة ونكباتها[٥] أثر واضح فى استمرار الهجرات المغولية إلى سلطنة المماليك بوجه عام والديار المصرية بوجه خاص لأنها كانت أكثر خصباً وأوفر ثروة من المواطن التى كان المغول يقطنونها فى ذلك العصر، وبخاصة أن دولة الإيلخانيين فى بداية عهد أبى سعيد كانت قد اشتدت بها الفتن والمحن فانشغل رجال الحكم والبلاط

---

(١) الجَمْدَار: الذى يحمل المرآة أمام الملك حين يلبس ثيابه وهو لفظ فارسى مركب من جام بمعنى مرآة ومن دار أى حامل (أدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص٤٤).

(٢) المقريزى : المقفى الكبير ٢ / ٢٨

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٨

(٤) على السيد : الهجرات المغولية ص ٥١

(٥) نزل بآسيا الصغرى فى عامى ٧١٨هـ / ١٣١٨م ، ٧٧٩هـ/١٣١٩م قحط شديد ومجاعة عنيفة ثم تلا ذلك حدوث أعاصير مدمرة وزوابع غريبة سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وتلاها قحط شديد آخر فى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م (المقريزى: السلوك ٢/١/٢٥٤ – فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ص ٤٧٥).

بمشاكلهم الخاصة وتوقفت المؤسسات الحكومية عن العمل السليم الجاد، وكثر تغيير الوزراء مما جعل بعض قادة المغول الآخرين من حكام الدولة الجغتائية فى تركستان والقبيلة الذهبية فى جنوب روسيا يغيرون على أطراف الدولة الايلخانية ويحاولون الاستيلاء على السلطة والعرش الايلخانى لولا تصدى أبى سعيد لهم وتغلبه عليهم.(١)

ومما لاشك فيه ان مصر كان لها جاذبيتها الخاصة لدى كل مسلم وبوجه خاص منذ سارت مقرا للخلافة العباسية مما جعل بعض المسلمين من مغول إيران يفدون إليها ويطيب لهم المقام والاستقرار بها.(٢)

وكان لهذه الهجرات المغولية تأثيرات اجتماعية مهمة تبدو جلية واضحة فيما ظهر فى مصر آنذاك من أطعمة واشربة لم تكن معروفة من قبل، فانتشر أكل لحوم الخيل وامتلأت بها الموائد فى المناسبات المختلفة من أفراح وحفلات وغيرها، ولم تكن هذه الظاهرة موجودة فى العصور الإسلامية السابقة فى مصر وقبل مقدم المغول.(٣)

كما كان لأبناء المغول دور واضح فى إدخال بعض أنواع الشراب أو الخمور التى لم تكن معروفة أيضا فى مصر قبلهم مثل مشروب القميز او القمز الذى لقى إقبالا من قبل المماليك، وكان يصنع من ألبان الأفراس التى يتم تركها فترة لتتخمر ثم يتناولونها.(٤)

---

(١) على السيد : الهجرات المغولية ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) على السيد : الهجرات المغولية ص ٨٥.

(٤) المقريزى : السلوك ٢ / ١ / ٨٨ حاشية(٥).

كذلك كان لأبناء العناصر المغولية دور كبير فيما شاع فى ذلك العصر من ملابس جديدة على المجتمع المصرى سواء منها ما هو خاص بالنساء أم الرجال ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية عن الأمير سيف الدين ارغون شاه الناصرى الذى تم جلبه من بلاد أبى سعيد، وتولى رأس نوبة الجمدارية للسلطان المملوكى فقد كان يقترح فى الملابس أشكالا غريبة[١] ويعمل بيده منها صنائع عجيبة.[٢]

كما قام الأمير سيف الدين سلام بن عبد الله بإدخال نوع من الملابس التى لم تكن معروفة من قبل، وهى الأقبية التى كان يطلق عليه اسم "السلارى" أو "السلارية" وهو أحد الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضيقة والمصنعة من خامات متنوعة مثل القطن البعلبكى وفراء السنجاب الرمادى ومن الأطلس ذى الخيوط المعدنية، وتلون هذه الأقبية بألوان مختلفة وتحلى بزخارف فخمة تنثر عليها اللآلئ، والأحجار الكريمة.[٣]

وكانت هذه فرصة سانحة لإثراء الأقمشة والأزياء المملوكية، وإدخال بعض الطرز والتصميمات عليها كما حدث بالنسبة للأقبية التترية (المعاطف التترية) التى استخدمها المماليك[٤] فصار لهذه الأقبية كمرات تلف الصدر من اليسار إلى اليمين، ويصنع من الصوف أو الحرير البعلبكى ويزين بأشرطة باللونين الأحمر والأزرق، وله أكمام ضيقة[٥]

---

[١] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٥
[٢] المقريزى : المقفى الكبير ٤ / ٢١- ٢٦
[٣] ابن تغرى بردى: المنهل الصافى ٢/ ٣١٤-٣١٦
[٤] فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص ١٦.
[٥] ماير : الملابس المملوكية – ترجمة صالح الشيتى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص٤٤ – ٤٥.

واهتم الايلخانيون بزخارف المنسوجات وحرص سلاطين المغول على نقش أسمائهم على قطع النسيج.[1]

وقد قام الإيلخان أبو سعيد بنقش ألقاب السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون على سبعمائة شقة من القماش قام بإهدائها إليه مع هدايا أخرى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م.[2]

ويبدو واضحا تأثر المماليك بالإيلخانيين الذين برعوا فى ذلك حيث توجد مجموعات عدة من نسيج الحرير التى وجدت وعليها اسم والقاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى متأثرة بهذا الأسلوب وتوجد الآن فى متحف الفنون التطبيقية ببرلين، ومتحف فكتوريا وألبرت بلندن، ومتحف المتروبوليتان.[3]

ويتجلى التأثير واضحاً أيضا فى ميدان الإصلاح الاجتماعى فيذكر المقريزى فى حوادث سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م أنه قدم الخبر بأن الإيلخان ابا سعيد أراق الخمور فى سائر مملكته وأبطل منها بيوت الفواحش، وأبعد أرباب الملاهى وأغلق الحانات وأبطل المكوس التى تجبى من التجارة الواردة إليهم من البلاد الأخرى، وهدم عدة كنائس بالقرب من تبريز ورفع شهادة الإسلام ونشر العدل وعمر المساجد والجوامع وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقته فلما علم السلطان المملوكى بذلك كتب لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات، وإراقة الخمور، وإغلاق الحانات واستتابة أهل

---

[1] م. س. ديماند : الفنون الإسلامية - ترجمة أحمد عيسى، تقديم د. احمد فكرى- دار المعارف- ط٣ ١٩٨٢م ، ص٢٦٤.

[2] أبو الفداء: المختصر فى اخبار البشر ٩٣/٣.

[3] ديماند : الفنون الإسلامية، ص٢٥٩.

الفواحش فعمل ذلك فى سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها النواب فى إزالة المنكرات حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد.[١]

وكما ظهرت بعض المؤثرات المغولية التى نفذت إلى الم نتيجة الاتصال المغولى المملوكى فقد نفذت أيضاً بعض المؤ المملوكية إلى المغول الإيلخانيين حيث كان للمماليك الهاربين إلى زمن الإيلخان أو لجايتوخذا بنده محمد وبخاصة الأمير قراسنقر و الأفرم أثر كبير فى تحديث دولة المغول بإيران وترقية أمورها وإد أحوالها ما يؤكد أن الدولة المملوكة كان لها تأثيرها الحضارى فى الإيلخانيين فقد قام الأمير قراسنقر بترتيب إدارات الدولة، ونظم جباية الأموال والضرائب المختلفة، ورتب المماليك والأقاليم التابعة ترتيب ممالك الإسلام فى جميع آلات الملك، ونظم أمور القصور الم وجعل الحياة فيها وما يقدم للخواتين والخوانين من الطعام وأنو وطريقة تقديمه حسبما كان متبعاً وموجوداً فى بلاط سلاطين مصر، بأن تصاغ للخواتين المصاغات الفاخرة، وعمل لهن البدلات الز وفصل لهن القماش العالى.[٢]

ولم تعد ملابسهم بسيطة بمثل ما كانت عليه من قبل تناسب البدائية فقد كان يتخذونها من أصواف الغنم، ووبر الجمال، و الحيوانات[٣] فصاروا يلبسون الحرير والفراء الثمينة وتتزين نس بالحلى والجواهر وبالغوا فى ذلك فكانوا يرتدون الملابس الثمينة والف

---

[١] المقريزى : السلوك ٢ / ١ / ٢١١.
[٢] ابن ايبك الدوادارى: الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ٩ / ٢٣٣ - ٢٣٤.
[٣] عطا ملك الجوينى: جهان كشاى ١ / ٢٢٦.

فى غير المناسبات، وظهروا بها فى الأماكن العامة فى شئ كبير من البذخ والترف.[١]

وأظهرت الزخارف الإسلامية على المنسوجات فى إيران آنذاك حياة البذخ والترف التى كان ينشدها أمراء المغول، وكانت زخارف منسوجات تلك الفترة متأثرة بالفن الصينى حيث كانت تتميز بالتفريعات النباتية من البراعم والأزهار والأوراق الطبيعية والمراوح النخيلية بالإضافة إلى صور بعض الحيوانات كالتنين والعنقاء[٢] وحرص سلاطين المغول على نقش أسمائهم على قطع النسيج[٣] فكان الفنان يبرزها بصورة جمالية رائعة.

ويتجلى لنا التحول الواضح فى الحياة الاجتماعية عند الإيلخانيين نتيجة اتصالهم بالمماليك فيما اتخذه الإيلخان أبو سعيد من إصلاح فى الميدان الاجتماعى متأثراً بسياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون تجاه أهل الذمة فى فترة من فترات حكمه[٤] فقد ألزم الإيلخان أبو سعيد النصارى فى بغداد سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م بلبس العمائم الزرقاء واليهود العمائم الصفراء[٥] وتم هذا الأمر رغم وجود هيئة للأساقفة فى مدينة السلطانية تحت زعامة رئيس لهم[٦]

---

[١] محمد أحمد: إسلام الايلخانيين ص ١٠٤.

[٢] ديماند : الفنون الإسلامية ص ٢٦٤.

[٣] زكى محمد حسن : فنون الإسلام ص ٣٧٧.

[٤] حينما هاجم المغول بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م انتهز أهل الذمة الفرصة، وقاموا بنشر الرعب والتخريب والفساد فى دمشق، وكان لهذا العمل صداه فى مصر، وكان من بين الأسباب التى دعت السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون إلى إصدار مرسوم فى سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م يقضى بأن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر، وذلك لمنعهم من الإضرار بالبلاد أثناء هجوم المغول على بلاد الشام، المقريزى : السلوك ١ / ٣ / ٩٠٩.

[٥] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ١٠٩.

[٦] السيد الباز العرينى: (المغول ص ٣٣١ – بيروت١٩٦٧).

مما يجعلنا نقول : أنه لم يعد للمسيحيين أي نفوذ يذكر فى زمن أبى سعيد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أشار ابن تغرى بردى إلى تأثر أبى سعيد بالملك الناصر فى ذلك فقال فى حوادث سنة ٧٣٤ هـ /: ورد الخبر على السلطان من بغداد بأن صاحبها أمر النصارى بلبس العمائم الزرق واليهود الصفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة".[١]

وأراد الايلخانيون أن يكون لهم دور فى خدمة الحرمين الشريفين متأثرين بالدور الكبير الذى كان المماليك يقومون به تجاه الحرمين فوصل رسول من جوبان نائب أبى سعيد سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١ م يطلب من السلطان المملوكى إعطاءه ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويوقفها على الحرم المكى فأعيد رسوله مع وعد بأن يبحث هذا الأمر.[٢]

ولما انتظر جوبان ولم يصله رد من السلطان المملوكى قرر أن يعمر عين عرفة بمكة بعد أن كثر تردد الحاج من العراق عقب توقيع معاهدة الصلح وتأمين الطرق، وشق عليهم قلة الماء بمكة حيث كانت الراوية تبلغ فى الموسم عشرة دراهم وفى غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة.[٣]

وكانت هذه العين تجرى قديماً ثم تعطلت فأرشده بعض الناس إليها[٤] فأرسل جوبان بعض التجار بمبلغ من المال يقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ ألف درهم بذلها فى إجراءالماء إلى مكة[٥] فوصل إليها سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م[٦] وكان

---

[١] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ١٠٩.
[٢] المقريزى: السلوك ٢ / ١ / ٢٣٠.
[٣] عبد القادر الجزيرى: درر الفرائد ١ / ٦٢٨.
[٤] المقريزى: السلوك ٢ / ١ / ٢٧٥.
[٥] النويرى: نهاية الأرب ٣٣ / ٢٠٧.
[٦] الفاسى: العقد الثمين ٤ / ٣٢٠ – ٣٢٢ ابن فهد: اتحاف الورى ٣/ ١٨١– ١٨٤.

السلطان الملك الناصر قد عزم على إجراء هذه العين فصرفه بعض أرباب الأمر من أتباعه عنها بحجة أن هذا الأمر متعذر الإمكان فلما أجريت على يد الأمير جوبان تألم السلطان من كون هذه الحسنة العظيمة لم تجر على يديه.[1]

وتأثر أبو سعيد باهتمام المماليك بركب الحاج والمحمل المصرى فاعتنى بأمر حاج العراق عناية كبيرة، وزين المحمل بالحرير، ورصعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر[2] حتى قوم ذلك بمائة تومان أى بمائتى ألف دينار وخمسين من الذهب المصرى.[3]

وأخذت ظاهرة المصاهرة بين الإيلخانيين وأمرائهم وسلطان مصر المملوكية طريقا غير مسبوق حينما تمسك المغول فى إيران بعقيدة الإسلام منذ عهد أبى سعيد الذى صار أول شخصية نشأت فى الإسلام دون أن تنال منها العادات المغولية والتأثيرات المسيحية، وهو أمر فرضته الظروف التى توالت على إيران ليحدث انتشار الإسلام بمعناه الواسع بين الأسر المغولية، ومن هنا لم يعد غريبا أن تنتقل السفارات بين الإيلخان أبى سعيد والناصر محمد بن قلاوون منذ ذلك العهد طلبا للمصاهرة وتوطيد أواصر الصداقة.[4]

وقد أشار المؤرخون إلى قدوم هذه السفارات على مدى عدة أعوام متتالية ففى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م قدم رسل أبى سعيد إلى السلطان يسألونه أن

---

[1] النويرى: نهاية الأرب ٣٣ / ٢٠٩.
[2] المقريزى : السلوك ٢ / ١ / ٢١٤.
[3] عبد القادر الجزيرى : درر الفرائد ١ / ٦٢٥ – ٦٢٦.
[4] محمد احمد : إسلام الإيلخانيين ص ٢٤.

يزوج ابنته من ابن الأمير جوبان نائب السلطنة فاعتذر السلطان المملوكي لصغر سنها، وقال لهم، "إذا صلحت للتزويج أجبنا سؤالكم إن شاء الله تعالى، وأعادهم مكرمين.(١)

وبعد ثلاث سنوات وصل من جهة الأمير جوبان سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ثلاثة من أعيان الصوفية على خيل البريد برسالة تتضمن طلب خطبة ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون لابن الأمير جوبان وطلبوا أن يتولى إجراءات الخطبة والعقد الشيخ تقى الدين بن تيمية وكان معتقلاً آنذاك فأجيبوا أن الشيخ المذكور سجين فى حبس الشرع لأمور صدرت عنه، فعادوا مرة أخرى إلى مرسلهم.(٢)

ويبدو أنهم عادوا للتشاور مع الأمير جوبان بعد أن علموا بسجن ابن تيمية، فحضروا فى العام التالى ومعهم الهدايا، وكان مضمون رسالتهم فى هذه المرة أن الإيلخان أبا سعيد يرغب أن يزوج السلطان المملوكي ابنته للأمير خواجا دمشق ابن الأمير جوبان فوافق السلطان على هذه المصاهرة لكنة اشترط لتنفيذها حضور ابن جوبان إلى القاهرة، وأكرم ضيافة الرسل ثم أعادهم إلى بلدهم بهدية جليلة.(٣)

وحضر وفد آخر من قبل الإيلخان أبى سعيد سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م على رأسه رسول يسمى "تمربُغا" وأخبر السلطان الناصر محمد أن الإيلخان يسأله أن يشرفه بتزويجه إحدى بناته، وأحضر هذا الرسول

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ٦٣/٣٣.
(٢) النويرى : نهاية الأرب ٣٣ / ٢٠٣.
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١.

معه أموالاً كثيرة لعمل الاحتفالات ومدّ الأسمطة بالطعام بمناسبة العقد[1] فاعتذر السلطان بصغر سنها ووعدهم أن يتم هذا الأمر بعد ثلاث سنوات، واشترط عليهم شروطاً لإتمام العقد كان من أهمها أن يكون مهرها أعمال ولاية ديار بكر.[2]

ومما لا شك فيه أن الرغبة التي أبداها الإيلخان والأمراء في مصاهرة سلطان المماليك تدل على التطور الذى طرأ على الإيلخانيين والذي أظهرته رغبتهم في توطيد أواصر الصداقة، والصلة بالدولة المملوكية.

ثانياً : أثر الاتصال المغولي المملوكي في الحياة الثقافية

اهتم المماليك بثقافة البلاد واعتنوا ببناء المدارس وساروا على نهج الأيوبيين – في العناية الشديدة بإنشاء المدارس في مصر والشام، ولأن الشام كان ميدان الحرب ضد المغول الذى كانوا فيه يخربون معالم الحضارة في كل هجمة من هجماتهم فقد حمل علماء الشام مؤلفاتهم وكتبهم القيمة واتجهوا إلى مصر فغدت القاهرة موئل العلم ومحط طلابه ومقصد الأدباء والمفكرين واهتم المماليك ببناء المدارس فيها وتخصيص الأوقاف لها.[3]

أما مدارس الشام فمع أن أكثرها تهدم أو أحرق ولا سيما في حلب وحماه فإن الأمراء وسلاطين المماليك كانوا دائماً يجددون في أبنيتها أو يستحدثون

---

[1] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ / ٩٩.
[2] النويري: نهاية الأرب ٣٣ / ٢٨١.
[3] محمد التونجي: التيارات الأدبية أبان الزحف المغولي ص ١٢٦.

مدارس جديدة[1] وكما عنى المماليك ببناء المدارس فقد اهتموا بإنشاء المكتبات ورعاية طلاب العلم، وكثر الوراقون والنساخون الذين دأبوا على ترويج الكتب المتداولة بين طلاب العلم، ولهذا كثرت الكتب فى علوم القرآن والحديث والفقه على المذاهب الأربعة بالإضافة إلى كتب الأدب والموسوعات الثقافية وتبع العناية بالمدارس والمكتبات العناية أيضاً بالمساجد التى كانت تعد المدارس الإسلامية الأولى فشيدوا عدداً منها فى القاهرة ودمشق.[2]

والحقيقة أن المؤسسات الثقافية التى شيدها المماليك تتنوع ما بين مكاتب لتعليم الأطفال (الكتاتيب) والمدارس وبيوت الصوفية من زوايا وربط وخانقاوات وجوامع وغيرها من الأماكن التى كانت تعقد فيها حلقات التدريس وقد وجدت هذه المؤسسات التعليمية فى الأوقاف التى أوقفت عليها خير دعامة تشد أزرها وتمكنها من البقاء والاستمرار فى أداء رسالتها.[3]

وقد لعبت العناصر المغولية التى قدمت إلى مصر دوراً مهماً فى الحياة الثقافية بمختلف جوانبها وتأثروا بما شهدته البلاد من ازدهار ثقافى فى تلك الفترة، وحرصوا على المساهمة فى شتى نواحى الحياة الثقافية، وقاموا بتشييد بعض المنشآت الثقافية التى تحمل أسماءهم وخصصوا لها الكثير من الأوقاف حتى تؤدى رسالتها، ويرجع هذا إلى اعتناقهم الإسلام وتمسكهم به هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إحساسهم بماضيهم المرير الذى يتسم بتدمير

---

[1] المرجع السباق ص ١٢٧.

[2] المرجع السابق ص ١٢٨

[3] على السيد : الهجرات المغولية ص ٥٦ .

مراكز الحضارة الإسلامية الأولى[١] فأرادوا أن يصلحوا ما أفسدوه هم وأسلافهم بالإضافة إلى أنهم أدركوا أن مركز الدراسات الإنسانية قد انتقل إلى مصر بعد سقوط بغداد فأقبلوا يساهمون بنصيبهم فى إحياء الحضارة الإسلامية فى شتى مظاهرها.[٢]

ومن المدارس التى قام المغول بإنشائها آنذاك المدرسة التى قام الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد الله بن عبد الواحد الناصرى (ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون[٣] وتسمى المدارس الآقبغاوية وكانت بجوار الجامع الأزهر وقرر فيها درساً للشافعية ودرساً للحنفية[٤] ويبدو أنه اهتم بهذين المذهبين لأن المماليك كانوا يلتزمون بالمذهب الشافعى كما التزم المغول الإيلخانيين زمن أبى سعيد بالمذهب الحنفى. والمدرسة الدوادارية التى شيدها الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى (ت٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) وكانت تقع خارج باب زويلة ورتب فيها درساً للحنفية[٥] والمدرسة القراسنقرية التى أنشأها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م) قبل فراره إلى دولة المغول بإيران، وكانت تقع تجاه خانقاه سعيد السعداء وبنى بجوارها مسجداً ومكتباً لتعليم الأطفال من أيتام المسلمين كما قرر فيها درساً للحنفية.[٦]

---

[١] المرجع السابق ص ٥٥.
[٢] فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ ١/١٢-١٥.
[٣] المقريزى: الخطط ٢ / ٣٨٦.
[٤] ابن تغرى بردى: المنهل الصافى ٢ / ٤٨٠.
[٥] المقريزى: الخطط ٢ / ٣٨٣ / ٣٨٤.
[٦] نفسه : المقفى الكبير ٢ / ٥٣١ - ٥٣٣.

وقام أبناء المغول بإنشاء عدد من المساجد وبيوت الصوفية، ومن المساجد التى قاموا بإنشائها جامع الأمير ألماس الحاجب الناصرى (ت٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م) الذى شيد خارج باب زويلة، وكان الأمير الماس أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ولجأ إليه فرقاه إلى أن صار من كبار الأمراء.[١]

وجامع قوصون الذى شيده الأمير سيف الدين قوصون (ت ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) هذا الأمير الذى حضر من بلاد مغول القفجاق صحبة الأميرة المغولية التى تزوجها الناصر محمد بن قلاوون سنه ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م، ومما يجدر ذكره أن هذا المسجد أحضر له بّناء من تبريز قام ببناء مئذنتى هذا الجامع على مثال المئذنتين التى شيدها خواجا على شاه وزير الإيلخان أبى سعيد فى مسجده بمدينته تبريز.[٢]

وقد قام الأمير قوصون ببناء بيت للصوفية يطلق عليه خانقاه قوصون تجاه مسجده فى شمال القرافة مما يلى قلعة الجبل، وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبى القاسم، وجعل له راتبا معلوماً من الدراهم والخبز واللحم والزيت والصابون.[٣]

وكما ساهم بعض أبناء المغول فى بناء المدارس والمساجد والزوايا فإن بعضهم اشتغل بالعلم وبرع فيه فالأمير ناصر الدين محمد بن جنكلى بن البابا أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون أشتغل فى معظم

---

[١] ابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ٢٧٧.
[٢] المقريزى: الخطط٢/٣٠٧ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٩/٢٠٦-٢٠٧.
[٣] المقريزى : المقفى الكبير ٢ / ١٧ – ١٨.

العلوم، واستمر مواظباً على سماع الحديث واختلط بالشيخ فتح الدين بن سيد الناس كثيراً وأخذ عنه معرفة الناس وأيامهم وطبقاتهم وأسماء الرجال، وكان آية فى معرفة فقه السلف ونقل مذاهبهم وأقوال الصحابة والتابعين بالإضافة إلى معرفته بالعربية والطب والموسيقى وكان يلتزم بمذهب أحمد بن حنبل وخرج له شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطى أربعين حديثاً، وحدث بها قبل موته.[١]

وقد تمت الاستفادة من أبناء العناصر المغولية المقيمين بمصر فى ترجمة الكتب الواردة من إيلخانات المغول، بل وإرسالهم أيضاً فى السفارات إليهم مثل الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى الذى أرسله الناصر محمد بن قلاوون فى سفارات عدة إلى الإيلخان أبى سعيد حيث كان يجيد الحديث والكتابة بلغة الإيلخانيين ويعرف آدابهم وبيوتهم ويستحضر تواريخهم ووقائعهم [٢] وكان يقوم بنفس العمل ايضاً الأمير سيف الدين طاير بُغا الذى قدم إلى مصر مع رسل الأمير جوبان نائب أبى سعيد سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م وكان من أقارب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ويعيش فى المملكة الايلخانية متوليا نيابة خلاط ثم جاء إلى مصر وأقام فيها هو وأهله.[٣]

ولما انتظم الصلح بين المماليك والايلخانيين وردت أعداد من الجوارى الجنكَيات[٤] من بلاد مغول إيران كهدايا للسلطان المملوكى

---

[١] الصفدى : الوافى بالوفيات ٢ / ٣١ – ٣٢.

[٢] ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ٣ / ٤٦٧ – ٤٦٨.

[٣] النويرى: نهاية الأرب (٣٣ / ٢٠٣) المقريزى: السلوك ٢/١/٢٧٣.

[٤] الجوارى الجنكَيات : مجموعة من الجوارى اللاتى يجدن العزف على الجنك وهو آلة وترية تشبه العود (أدى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٦ ، محمد زغلول: الأدب فى العصر المملوكى ١ / ٢٨١).

والأمراء وقد نلن إعجاب الناس من الحكام والمحكومين ولعبن بعقولهم عزفا وجمالاً، وأطلقن السنة الشعراء يقولون فيهن ما يعن لهم من خواطر يلهبها ذلك الإحساس بالجمال وحلاوة وبراعة الأداء فظهر آنذاك نوع من شعر الغزل الذى يعبر أصدق تعبير عن أثر هؤلاء الجوارى فى الحياة الأدبية.[١]

أما المغول الذين قدموا من أقصى الشرق وهم يحملون معول الجهل يهدمون به صرح الحركتين العمرانية والثقافية فإنهم بعد أن استقروا فى إيران واعتنقوا الإسلام وتأثروا بحضارته قاموا بخدمات جليلة للثقافة وأولوها عناية كبيرة واهتماما عظيما، وتأثروا بتعاليم الدين الإسلامي وبثقافة المسلمين، وبدا ذلك واضحا زمن الايلخان أبى سعيد الذى قضى على المذهب الشيعي فى بلاده وأعاد المذهب السنى، وأعلن بمجرد توليه العرش التزامه بمذهب أبى حنيفة وأحاط نفسه بفقهاء الحنفية ورجال الدين والمثقفين[٢] واعتنى أبو سعيد ببناء المدارس فى إيران والعراق، وتشجيع العلماء ورجال الدين[٣] وراج الأدب فى عهده وبخاصة أنه كان ينظم الشعر الفارسى ويجيد الخط، كما كان متسامحا دينيا، وهذا التسامح من شأنه أن يزيد من الرخاء الثقافي ويمنح الفكر حرية فى التأليف والمناقشة.[٤]

---

(١) محمد زغلول : الأدب فى العصر المملوكى ١ / ٢٨١ – ٢٨٥ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م محمد قنديل البقلي: الطرب في العصر المملوكي ص ٤٣ – ٤٤ القاهرة ١٩٨٤م.
فوزى محمد أمين: المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الأول ص٣٠٨–٣٠٩ دار المعارف بمصر– بدون تاريخ.

(٢) ابن الوردى: تتمة المختصر ٢/٢٧٠/٢٧٢ المقريزى : السلوك ٢/٢/٣٩٧ – ٢٠٤.

(3) Coke : Baghdad the city of peace, p .166.

(٤) محمد التونجي: التيارات الأدبية ص ١٢٣.

وازداد التمازج بين المغول والعرب المسلمين فتأثر المغول باللغة العربية، وشاع التسرب اللغوى بينهم حتى صار للمغول لغة محكية ومكتوبة وأكثر من ثلثها عربى وفارسى وتكتب بالأبجدية العربية كسائر الأمم المسلمة بعد أن كانت لغة المغول لغة بدائية محكية ولم تكن لهم لغة مكتوبة.[1]

ونظرا للعلاقات الطيبة بين المماليك والايلخانيين وحدوث الوفاق السياسي والمذهبى بينهما حدث اتصال دائم بين الطرفين وجاء طلاب العلم من مملكة الإيلخانيين إلى مصر للاستزادة من مناهل العلم بها، فقد قدم سنة ٧٢١ هـ/ ١٣٢١م الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير عمر الأكفانى القازانى، مدرس مشهد الإمام أبى حنيفة ببغداد واستقر بمصر عدة أشهر قبل توجهه إلى بغداد[2]

ولقد كان هناك اتصال أيضا فى زمن أحمد تكودار أول إيلخان أشهر إسلامه فى إيران فقد أرسل هذا الايلخان الشيخ قطب الدين محمود بن ضياء الدين مسعود المعروف بالعلامة الشيرازى (ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) إلى مصر ومنها إلى الشام حيث درس كتاب القانون والشفاء لابن سينا وقد استقر فى تبريز لمدة أربعة عشر عاما عمل خلالها بالتأليف ومن آثاره العربية الإدراك فى دراية الأفلاك، والتحفة الشاهية، وشرح حكمة الإشراق للسهروردى المقتول وفتح المنان فى تفسير القرآن.[3]

---

[1] المرجع السابق ص ٦٥٦.
[2] ابن كثير : البداية والنهاية ٧ / ٤٨٨.
[3] عباس إقبال : تاريخ إيران ص ٥٧٦.

ولقد أشاد علماء الدولة الايلخانية بإسلام المماليك وبدور دولتهم الحضارى وعلى رأس هؤلاء العلماء شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازى الذى عاش بين سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م وسنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م تقريبا، وكان يلقب بوصاف الحضرة، وكان يحظى بدعم وتأييد الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذانى الذى قدمه للايلخان أولجايتو فى السلطانية سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢ م فأهداه وصاف كتابه التاريخى الذى سماه "تجزية الأمصار وتجزية الإعصار" وأشاد فيه بدولة المماليك حيث يقول : "أما بلاد مصر والشام فلا تزال بعد مضى تسعين وستمائة سنة ونيف على هجرة النبى العربى صادقة العزم ثابتة القدم على سبيل الجد والاجتهاد قد اتخذت فى دينها من قوله تعالى : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون " نقش خاتمها، ومن هذه الآية الكريمة زينة عروس يقينها وأعلنت ولاءها لقوله تعالى : "ولا تطع الكافرين والمنافقين" واتخذت من قوله تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى" شعارها فى المحافظة على حوزة الدين وحماية حرمة الأيمان إن هذا كله بالنسبة لهم حتمى ومقضى، لذلك لا جرم أن ينفردوا من جملة الإسلام بفضيلة التفوق وشرف الزعامة والامتياز".[1]

وقد تأثر الايلخانيون بعلماء الدولة المملوكية وعلى سبيل المثال العالم الفقيه تقى الدين بن تيمية (ت ٨٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م) الذى استاء كثيرا بما أقدم

[1] دوروتيا كرافولسكى: العرب وإيران ص ١١٢ - ١١٣ نقلا عن : وصاف الحضرة: تجزية الأمصار ص ٨٣ - ٨٤ طبعة حجرية ١٢٦٩ هـ / ٥٢ - ١٨٥٣ م بومباى.

عليه المغول فى بلاد الشام، وكان لديه من الشجاعة والجرأة أن يعلن استياءه أمام الايلخان غازان[1] ووضح تأثر الايلخان به زمن أبى سعيد حينما قدم وفد إيلخانى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م من جهة الأمير جوبان نائب أبى سعيد وطلب الوفد خطبة ابنة السلطان لابن الأمير جوبان على أن يتولى إجراءات الخطبة والعقد الشيخ تقى الدين بن تيمية واعتذر السلطان، وذكر لهم أن الشيخ المذكور سجين فى حبس الشرع.[2]

ولقد اهتم الايلخان أبو سعيد بنشر العلم فى المساجد وصار المسجد فى أيامه بشكل مركزاً من مركز العلم والعلماء حيث اهتم بالوعاظ وأجزل عليهم العطاء الموفور، وبلغ الأمر من نجاح تلك السياسة أن اجتمع النساء بمساجد شيراز فى أيام الاثنين والخميس والجمعة لسماع الوعظ.[3]

واهتم أبو سعيد بالقضاء وحرص على أن يتولى هذا المنصب رجال من أرباب العلم، وبلغ اهتمامه وعنايته بقضاة الأقاليم أنه كان يرسل إليهم الرسل للوقوف على أخبارهم وبحث حاجاتهم، وصار للقضاة مكانة كبيرة لديه فقرر أن يتخذوا من مظاهر التكريم والإجلال بمثل ما كان لإيلخانات المغول من قدر ومكانة، فيذكر ابن بطوطة أن أحد كبار الأمراء ويدعى ناصر الدين الدرقندى لما قدم إلى شيراز استأذن فى الدخول على

---

[1] النويرى: نهاية الأرب ٣٣ / ٢٠٣.
[2] المصدر السابق.
[3] محمد لأحمد: إسلام الايلخانيين ص ١٤٨.

قاضيها فأذن له فلما مثل الأمير بين يدى القاضى نزع شاشيته عن رأسه وقبل قدميه، وجلس أمامه ممسكا أذن نفسه بيده وكانت هذه المظاهر معمولاً بها لدى أمراء المغول عند تعظيم ملوكهم[1] مما يجعلنا نقول : إن العلماء والفقهاء والقضاة لقوا فى عهد الايلخان أبى سعيد قدراً كبيراً من العناية والتكريم وخلاصة القول إن العلاقات الفكرية بين المغول الإيلخانيين والمماليك قد شهدت تفاعلاً مستمراً وارتباطاً وطيداً وأخذاً وعطاء.

---

[1] ابن بطوطة : تحفة النظار ١ / ١٥٦.

خاتمة البحث

دار البحث حول سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك فى مصر والشام زمن الايلخان أبى سعيد بن خدابنده فقدم أولاً دراسة عن المغول الإيلخانيين وعلاقتهم بالمماليك قبل أبى سعيد، وانتهى إلى أن هذه العلاقات كانت عدائية والصراع مستمراً بين الطرفين وتحالف فيه المغول الايلخانيون مع المسيحيين ضد المماليك.

وبين البحث أن أول إيلخان اعتنق الإسلام أوقف الصراع بين المغول والمماليك، وبدأت العلاقات الودية بين الطرفين لكنها لم تستمر سوى عامين وبضعة أشهر قام المغول بعدها بعزل هذا الايلخان وقتله وعاد الصراع بينهم وبين المماليك مرة أخرى.

ومن النتائج التى توصل إليها البحث أن انتشار الإسلام بين إيلخانات المغول لم يوقف الصراع مع المماليك وساءت العلاقات المغولية المملوكية وازدادت حدة العداء بين الطرفين.

ثم تحدث البحث عن سياسة المغول تجاه المماليك زمن الايلخان أبى سعيد فأوضح أن هذا الايلخان قد انتهج تجاه المماليك سياسة مخالفة لسياسة أبيه حتى يضمن الاستقرار والأمن لدولته، وحتى يوطد أقدامه فى حكم البلاد.

وأشار البحث إلى معاهدة الصلح التى تمت بين الإيلخانيين والمماليك زمن أبى سعيد وذكر بنودها وكان لهذه المعاهدة عدة نتائج نجملها فيما يلى:-

- ساعدت المعاهدة على إطفاء نار الحرب بين الطرفين.
- تواتر تبادل الرسل بين الدولتين لتوطيد أواصر الصداقة والمودة.
- تعاون الطرفين فى التصدي للخصوم والقضاء عليهم.
- التعاون فى تأمين قوافل الحجيج.
- السماح للأقارب من الطرفين بالعودة إلى ديارهم أو زيارة ذويهم.

وعند الحديث عن أثر الاتصال الايلخانى المملوكي على الحياة الاجتماعية والثقافية أوضح البحث فى الناحية الاجتماعية أن الهجرات المغولية إلى مصر كان لها تأثير واضح فقد كان سلاطين المماليك يحرصون على تشجيع المغول على القدوم إلى الديار المصرية، وكانت هذه السياسة تهدف إلى التغلغل داخل صفوف المغول واستمالة العناصر المناوئة لنظم الحكم القائمة لديهم حتى يمكن الاستفادة من رصد كل تحركاتهم وسكناتهم، ومما ساعد على نجاح الهجرات المغولية إلى مصر نجاح السلطان الناصر فى اتخاذ بعض مسلمي المغول فى المناطق المتاخمة لحدود سلطنة المماليك مع دولة مغول إيران ليكونوا عرنا على هؤلاء المغول يأتون له بأخبارهم فإذا انكشف أمرهم بادروا بالرحيل إلى مصر.

وبيّن البحث أن معاهدة الصلح زمن أبى سعيد كان لها أثرها الواضح فى اجتذاب أعداد كبيرة من مغول إيران إلى مصر والإقامة بها لما وجدوه من ترحيب وحسن عيش وترغيب من أقاربهم بها إلى جانب ما لقوه من ترحاب لدى السلطات الحاكمة التى سعت للاستفادة منهم ومن خبراتهم.

وبيّن البحث أن الكوارث الطبيعية ونكباتها من حدوث قحط أو مجاعات كبيرة وانتشار الأوبئة والفتن كان له أثره الواضح فى استمرار الهجرات المغولية إلى مصر لأنها كانت أكثر خصباً وأوفر ثروة من المواطن التى كان المغول يسكنونها فى إيران.

وأوضح البحث أن هذه الهجرات كان لها تأثيرات اجتماعية بدت واضحة جلية فيما ظهر فى مصر آنذاك من أطعمة وأشربة لم تكن معروفة من قبل مثل أكل لحوم الخيل وشرب ألبانها بعد تخميرها.

وبيّن البحث أنه كان لأبناء العناصر المغولية دور كبير فيما شاع فى ذلك العصر من ملابس كانت جديدة على المجتمع المصرى سواء منها ما هو خاص بالنساء أم الرجال.

وأوضح البحث أنه فى ميدان الإصلاح الاجتماعى حينما قام الايلخان أبو سعيد بإراقة الخمور فى مملكته وإغلاق الحانات وبيوت الفواحش فلما علم السلطان المملوكى بذلك أصدر أمره بإزالة المنكرات فى سائر البلاد الإسلامية. وأشار البحث إلى تأثير المماليك بالزخارف المغولية الإسلامية على المنسوجات وحرصوا على نقش أسمائهم عليها كما كان الايلخانيون يفعلون.

وبيّن البحث أن الايلخانيين تأثروا أيضاً بالمماليك فقد اقتدى أبو سعيد بسياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون تجاه أهل الذمة وألزم النصارى فى بغداد بلبس العمائم الزرقاء واليهود بلبس العمائم الصفراء.

وأوضح البحث أن الايلخانيين أرادوا أن يكون لهم دور فى خدمة الحرمين الشريفين متأثرين بالدور الكبير الذى كان المماليك يقومون به فعملوا على إحداث بعض الإصلاحات هناك.

وتأثر الايلخانيون باهتمام المماليك بركب الحاج والمحمل المصرى فاعتنى أبو سعيد بأمر حاج العراق عناية كبيرة وزين المحمل بالحرير ورصعه باللؤلو والياقوت وأنواع الجواهر.

وأوضح البحث أن ظاهرة المصاهرة بين الايلخانيين وأمرائهم وسلطان مصر المملوكية أخذت طريقاً غير مسبوق وكانت السفارات تنتقل بين أبى سعيد والناصر محمد طلباً للمصاهرة وتوطيد أواصر الصداقة.

وفى الناحية الفكرية والثقافية توصل البحث إلى النتائج التالية :

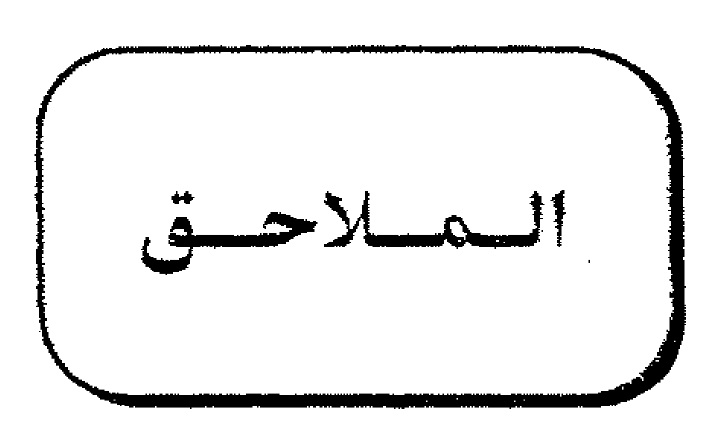
- انتشر المذهب الحنفى فى إيران عقب تولى الإيلخان أبى سعيد الحكم وتراجع المذهب الشيعى وصار هناك نوع من التوافق المذهبى بين المماليك والمغول بعد عودة المذهب السنى إلى إيران.
- أدت العناصر المغولية التى قدمت إلى مصر دوراً مهماً فى الحياة الثقافية فقاموا ببناء المدارس والمساجد والزوايا واشتغل بعضهم بالعلم وبرع فيه.

- تمت الاستفادة من أبناء العناصر المغولية المقيمين بمصر في ترجمة الكتب الواردة من إيلخانات المغول، بل وكتابة الرد عليها.

- وردت مجموعة من الجوارى الجنكيات من بلاد مغول إيران كهدايا لأمراء المماليك وسلطانهم وكان لهم دور مؤثر في الحياة الأدبية والفنية.

- انتقل العلماء من إيران وبغداد إلى مصر للاستزادة من العلم وكي ينهلوا من فيض علمائها.

- شهدت العلاقات الثقافية بين المغول والمماليك تفاعلاً مستمراً وارتباطاً وطيداً وأخذاً وعطاءً، وكان هذا التفاعل المستمر ثمرة جهود طويلة بين الطرفين.



الملاحق

ملحق رقم (١)

إيلخانات إيـران

١- هولاكوبن تولى بن جنكيزخان ٦٥٤ ـ ٦٦٣ هـ / ١٢٥٦- ١٢٦٥م.

٢- أباقا (أبغا) بن هولاكو ٦٦٤ ـ ٦٨٠هـ / ١٢٦٥ ـ ١٢٨١م.

٣- أحمد تكودار بن هولاكو ٦٨١ ـ ٦٨٣ هـ / ١٢٨١ ـ ١٢٨٤م.

٤- أرغون بن أباقا بن هولاكو ٦٨٣ ـ ٦٩٠ هـ / ١٢٨٤ ـ ١٢٩١م.

٥- كيخاتوبن أباقابن هولاكو ٦٩٠- ٦٩٤ هـ / ١٢٩١ ـ ١٢٩٥م.

٦- بايدوبن طرغاى بن هولاكو ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥م.

٧ ـ محمد غازان بن أرغون بن أباقا ٦٩٤ هـ/٧٠٣هـ/١٢٩٥ ـ ٤ ١٣م.

٨ ـ أولجايتو محمد خدابنده بن أرغون ٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ/١٣٠٤ ـ ١٣١٦م.

٩ ـ أبو سعيد بن أولجايتو ٧١٦ ـ ٧٣٦ هـ / ١٣١٦ ـ ١٣٣٥م.

ثم انقسمت البلاد وقام فى حكمها المتغلبون من المغول والأمراء المحليون حتى قام تيمورلنك بالاستيلاء عليها سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤م.[١]

---

[١] رجب محمد عبد الحليم : انتشار الإسلام بين المغول ص ٢٧٤

ملحق رقم (٢)

من كتاب إيلخان غازان إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون

" **بسم الله الرحمن الرحيم** ". بقوة الله تعالى، وميامين الملة المحمدية، فرمان السلطان محمود غازان.

ليعلم السلطان المعظم الملك الناصر، أنه فى العام الماضى بعض عساكرهم (كذا) المفسدة دخلوا أطراف بلادنا وأفسدوا فيها لعناد الله وعنادنا كما ردين ونواحيها وجاهروا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من أهلها، وأقدموا على أمور بديعة (كذا)، وارتكبوا آثاما شنيعة من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة فأنفنا من تهجمهم وعزنا من تقحمهم، وأخذتنا الحمية الإسلامية فحدتنا على دخول بلادهم ومقاتلتهم على إفسادهم فركبنا بمن كان لدينا من العساكر، وتوجهنا بمن أتقن منهم أنه حاضر وقبل وقوع الفعل منا، واشتهار الفتك عنا، سلكنا سنن المرسلين، واقتفينا آثار المتقدمين، واقتدينا بقول الله: لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وانفذنا صحبة يعقوب السكرجى جماعة من القضاة والأئمة الثقات وقلنا هذا نذير من النذر الأولى، أزفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة،

فقابلتم ذلك بالإصرار وحكمتم عليكم وعلى المسلمين بالإضرار، واهنتموهم، وسجنتموهم، وخالفتم سنن الملوك فى حسن السلوك فصبرنا على تماديكم فى غيكم وخلودكم إلى بغيكم، إلى أن نصرنا الله، وأراكم فى أنفسكم قضاء. أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله، وظننا أنهم من حيث تحققوا كنه المحال، وآل بهم الأمر إلى ما آل، أنهم ربما تداركوا الفارط من أمرهم ورتقوا ما فتقوا بغدرهم وأوجه إلينا وجه عذرهم، وأنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم الديار المصرية، رسلاً لإصلاح تلك القضية فبقينا بدمشق غير متحثوثين، وتثبطنا تثبط المتملكين المتمكنين فصدهم عن السعى فى صلاح حالهم التوانى، وعللوا نفوسهم عن اليقين بالأمانى.

ثم بلغنا بعد عودنا إلى بلادنا، أنهم ألقوا فى قلوب العساكر والعوام وراموا جبر ما أوهنوا من الإسلام، أنهم فيما بعد يلقوننا على حلب أو الفرات وأن عزمهم مصر على ذلك لا سواه فجمعنا العساكر وتوجهنا للقيام، ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم، وقلنا لعلهم وعساهم، فما لمع لهم بارق ولاذرّ شارق فتقدمنا إلى أطراف حلب، وتعجبنا من بطئهم غاية العجب فبلغنا رجوعهم بالعساكر وتحققنا نكوصهم عن الحرب، وفكرنا أن تفد منا بعساكرنا الباهرة، وجموعنا العظيمة القاهرة ربما أخرب البلاد مرورها، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها وعمّ الضرر العباد والخراب البلاد فعدنا بقيا عليها ونظرة لطف من الله إليها.

وها نحن الآن مهتمون بجمع العساكر المنصورة ومشحذون غرار عزماتنا المشهورة ومشتغلون بصنع المجانيق وآلات الحرب وعازمون بعد الإنذار، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً.

وقد سيرنا حاملي هذا الفرمان الأمير الكبير ناصر الدين علي خواجا، والإمام العالم ملك القضاة كمال الدين موسى بن يونس، وقد حملناهما كلاما يشافهاهم به .

فليثقوا بما تقدمنا به إليهما فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما...".

ملحق رقم (٣)

من كتاب الناصر محمد بن قلاوون
إلى غازان[٢]

"فليعلم السلطان المعظم محمود غازان أن كتابه ورد فقابلنه بما يليق بمثله لمثله من الإكرام، ورعينا له حق القصد فتلقيناه منا بسلام، وتأملناه تأمل المتفهم لدقائقه المستكشف عن حقائقه فألفيناه قد تضمن مؤاخذات بأمورهم بالمؤاخذة عليها أحرى معتذراً فى التعدى بما جعله ذنوباً لبعض طالب بها الكل والله تعالى يقول: "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

أما حديث من أغار على ماردين من رجالة بلادنا المتطرفة وما نسبوه إليهم من الأمور البديعة والآثام الشنيعة، وقولهم : إنهم انفوا من تهجمهم، وغاروا من تقحمهم، واقتضت الحمية ركوبهم فى مقابلة ذلك فقد تلمحنا هذه الصورة التى أقاموها عذراً فى العدوان، وجعلوها سبباً إلى ما ارتكبوه من طغيان، والجواب عن ذلك أن الغارات من الطرفين ولم يحصل من المهادنة والموادعة ما يكف يدنا الممتدة، ولا يفتر هممنا

---

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى ج٧ ص ٢٤٣ – ٢٥٠.

المستعدة، وقد كان آباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والشقاق. وعدم المصافاه للإسلام والوفاق، ولم يزل ملك ماردين ورعيته منفذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم متولين كبر نكرهم والله تعالى يقول: "ومن يتولهم منكم فإنه منهم" وحيث جعلتم هذا ذنبا للحمية الجاهلية وحاملاً على الانتصار الذى زعمتم أن همتكم به ملية، فقد كان هذا القصد الذى ادعيتموه يتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف التى أوجب ذلك فعلها، والاقتصار على أخذ الثأر ممن ثار اتباعا لقوله تعالى " وجزاء سيئة سيئة مثلها " لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفقة على اختلاف الأديان وتطوا البقاع الطاهرة بعيدة الصلبان، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس الذى هو ثانى بيت الله الحرام، وشقيق مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإن احتججتم بأن زمام تلك الغارة بيدنا وسبب تعديهم من سنتنا فقد أوضحنا الجواب عن ذلك، وأن عدم الصلح والموادعة أوجب سلوك هذه المسالك......".

ملحق رقم (٤)

من نسخة كتاب عن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطان أبى سعيد بهادرخان[٣]

" الحمد لله الذى جعلنا بنعمته إخواناً، وجمعنا على طاعته أصولاً لا تتفرق أغصانا، نحمده على ما أولانا، ونشكره على ما ولانا، ونرغب إليه فى مزيد ألطافه التى شملت أقصانا وأدنانا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كالشمس لا تدع فى الأرض مكاناً، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى شيد بنا لشريعته أركانا وشد بعضنا ببعض لنكون كما شبهنا به بناناً أو بنياناً، صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا تتوانى، ورضى الله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وزادهم إحساناً وسلم تسليماً كثيراً وبعد فإن من أعظم المبهجات لدينا المنهجات لطريق السرور إلينا الملهجات بوصف أكرم وارد علينا هو الكتاب الشريف، بل السحاب المطيف، بل البحر الذى يقذف درراً، ويقص عن السحاب أثراً ، ويرفع سرراً، ويطلع قمراً، ويطول أوضاحاً وغرراً ويحدث عن العجائب خبراً، بل ينشر الروض حبراً،

---

[٣] القلقشندى : صبح الأعشى ٧ / ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

ويهب الرياح سحراً ويبرق ذهبه المموه آختالاً وبكراً الصادر عن الحضرة الشريفة العالية السلطانية، الأعظمية العالمية العادلية الشاهنشاهية الأخوية القانية، زادها الله شرفاً، وأدام بها تحفاً، وصاغ بها لكل سمع شنفا وأيدها بزائد مزيده حتى تقول : حسبي وكفى، فإنه وصل صحبته المجلس السامى الأمير الكبير المقرب المجتبى المرتضى المختار، شرف الدين، مجد الإسلام زين الأنام جمال المقربين، مرتضى الملوك والسلاطين الحاج أحمد الأشقر، والشوق إليه شديد، والتطلع إليه كمثل العيد فقربناه إلينا نجيا وتلقينا منه مهديا، وكأن السماء ألقت منه حليا، أو أقلت كوكباً دريا، أو مدت من المجرة درجاً، وعطفت من مهندات البروق خلجا وقدت من سواد القلب كل سطر فيها وأغارت مقلة كل ريم قام بسواد ناظره يفديها، وسرحنا منه الحدق فى حدائق ونفحنا به للحقائب حقائق، واستطلعنا به شموس واطلعنا منه على نفوس نفائس الوداد...

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت٧٤٩هـ)

١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٢ ق٢ مخطوط رقم ٥٥٩ معارف عامة - دار الكتب المصرية.

ثانياً : المصادر العربية المطبوعة

ابن الأثير على بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢ - ١٢٣٣م

٢- الكامل فى التاريخ :راجعه وصححه د / محمد يوسف الدقاق الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م دار الكتب العلمية - بيروت

ابن إياس (محمد بن أحمد ت٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣-١٥٢٤ م)

٣- بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ج٢/١٤٠٤هـ- ١٩٨٤

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى ت٧٠٣هـ)

٤- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار دار الكتاب اللبنانى - بيروت - بدون تاريخ

البغدادى **(وصفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩ هـ)**

٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
الطبعة الأولى- دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م

ابن تغرى بردى **(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م)**

٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٢ هـ ١٩٣٣م.

٧- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى
دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م

ابن جبير **(أبو الحسين محمد بن أحمد ت ٦١٤ هـ)**

٨ - رحلة ابن جبير
دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

الجزيرى **(عبد القادر بن محمد ت ٩١١هـ)**

٩ - الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة
الطبعة الأولى١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، نشر حمد
الجاسر - دار اليمامة - الرياض

ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م)

١٠ ـ تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه

تحقيق د. محمد محمد أمين

ج١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٦م

ج٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٨٢م

ج٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٨٦م

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ت٨٥٢هـ)

١١- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة دار الجيل بيروت ـ بدون تاريخ

ابن خلدون (ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن ت ٧٣٢ هـ)

١٢- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر بيروت بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

الدوادارى (بيبرس المنصورى ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)

١٣- التحفة الملوكية فى الدولة التركية

نشر د. عبد الحميد صالح حمدان ـ الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

الدواداری (ابن ايبك - أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦هـ/ ١٢٣٥م)
١٤ - كنز الدرر وجامع الغرر
الجزء التاسع المعروف باسم الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت - القاهرة ١٩٦٠م

السمهودى (على بن عبد الله ت ٩١١هـ / ١٥٠٦م)
١٥- الوفا بما يجب لحضرة المصطفى من كتاب رسائل فى تاريخ المدينة
إشراف حمد الجاسر- دار اليمامة- الرياض

الصفدى (صلاح الدين بن أيبك ت ٧٦٤هـ)
١٦- الوافى بالوفيات
نشر جمعية المتشرفين الألمانية - بيروت الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)

ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩هـ)
١٧ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت. (بدون تاريخ)

العينى (بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م)
١٨ - عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ج١
تحقيق د. محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤ ط١٤١٢هـ /١٩٩٢م

الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت٨٣٢هـ / ٢٨ ـ ١٤٢٩م)

١٩ ـ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين

ج١ تحقيق محمد حامد الفقى

ج٢ ـ ج٧ تحقيق فؤاد سيد

ج٨ تحقيق محمود الطناحى

مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ)

٢٢- المختصر فى أخبار البشر

مكتبة المتنبى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

ابن فهد (محمد بن محمد الشهير بعمر ت ٨٨٥هـ)

٢١ ـ اتحاف الورى بأخبار أم القرى

(ثلاثة أجزاء) تحقيق فهيم محمد شلتوت

جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٨٣م

ابن فهد (عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد ت ٩٢٢هـ)

٢٢ ـ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام

ج١ تحقيق فهيم محمد شلتوت ـ جامعة أم القرى مكة المكرمة ط أ / ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

ابن الفوطى (كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق ت ٧٢٣هـ)

٢٣ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة

المكتبة العربية ببغداد ١٣١٥هـ / ١٩٣٢م

القلقشندى **(أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)**

٢٤ ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا

المطبعة الأميرية بالقاهرة١٣٢٢هـ/ ١٩١٤م

ابن كثير **(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)**

٢٥ ـ البداية والنهاية فى التاريخ

طبعة دار الغد العربى ـ القاهرة

المقريزى **(تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ)**

٢٦ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك

ج١ ق١ ، ٢، ٣ تحقيق محمد مصطفى زيادة

ج٢ ق١، ٢ ، ٣ تحقيق محمد مصطفى زيادة

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦م

٢٧ ـ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية

دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ

٢٨- كتاب المقفى الكبير،تحقيق محمد البعلاوى- دار الغرب الإسلامى بيروت، (الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩١م)

النسوى (محمد بن أحمد ت / ٦٤٢ هـ)

٢٩ ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى
تحقيق حافظ أحمد حمدى ـ دار الفكر العربى القاهرة (بدون تاريخ)

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ)

٣٠ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب
ج٣٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٨م
ج٣٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٧م

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ)

٣١ ـ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب
تحقيق د. جمال الدين الشيال القاهرة ١٣٧٦هـ /١٩٥٧م

ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ)

٣٢ ـ تتمة المختصر فى أخبار البشر
ج١،٢ منشورات المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ط ٢ عن ط القاهرة ١٢٥٨هـ- ١٨٦٨م

اليوسفى (موسى بن محمد ت ٧٥٩هـ)

٣٣- نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر
تحقيق ودراسة د. أحمد حطيط ط أ ـ ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ علم الكتب ـ بيروت

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة

أحمد السباعي ٣٤- تاريخ مكة (دراسات في السياسة و ال والاجتماع والعمران)

ج١ ط٥ ١٤٠٤هـ / ١٩٤٨ - الرياض

أحمد مصطفى الصغير ٣٥- الدور السياسي للشيعة بالحجاز من القـ الخامس إلى القرن التاسع الهجرى

الناشر مكتبة الدعوة بالأزهر ط أ ١٩٩٦

حربي أمين سليمان : (دكتور) ٣٦ - المؤرخ الإيرانى الكبير غيات الدين خواند كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء

تقديم د.فؤاد الصياد- الهيئة المصرية العامة للكتاب

خليل أدهم ٣٧ - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاك ترجمة د. أحمد السعيد سليمان مطبعة المعارف بمصر - بدون تاريخ

السباعى محمد السباعى (دكتور) ٣٨ - عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشاى د الزهراء للنشر- القاهرة١٤١٢هـ /١٩٩١م

السيد الباز العرينى (دكتور) ٣٩ - المغول

ط بيروت - ١٩٦٧م

السيد محمد الدقن (دكتور) ٤٠- كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ
ط أ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م القاهرة

رجب محمدعبدالحليم (دكتور) ٤١- انتشار الإسلام بين المغول
دار النهضة العربية للطباعة والنشر - القاهرة (بدون تاريخ)

زكى محمد حسن (دكتور) ٤٢ - فنـون الإسلام
القاهرة / ١٩٤٨م

سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور) ٤٣- العصر المماليكى فى مصر والشام
ط٢ - القاهرة - ١٩٧٦م

صبحى عبد المنعم (دكتور) ٤٤- العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين
العربى للنشر والتوزيع - القاهرة (بدون تاريخ)

عباس العزاوى ٤٥- تاريخ النقود العراقية من ٦٥٦هـ إلى ١٣٣٥هـ
بغداد ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

عبد السلام فهمى (دكتور) ٤٦- تاريخ الدولة المغولية فى إيران
دار المعارف - القاهرة - ١٩٨١م

عصام شبارو (دكتور) ٤٧- السلاطين فى المشرق العربى "المماليك"
دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٤م

علی حسنی الخربوطلی (دکتور)

٤٨ ـ تاریخ الکعبة
دار الجیل ـ بیروت ـ ط٢ ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

فؤاد عبدالمعطی الصیاد (دکتور)

٤٩ ـ المغول فی التاریخ
دار النهضة العربیة للطباعة والنشر بیروت (بدون تاریخ)

٥٠- السلطان محمود غازان المغولی واعتناقه الإسلام.
ط أ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م الناشر مکتبة الأنجلو المصریة القاهرة.

٥١- الشرق الإسلامی فی عهد الایلخانیین (أسرة هولاکوخان)
منشورات مرکز الوثائق والدراسات الإنسانیة
جامعة قطر / الدوحة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

٥٢- مؤرخ المغول الکبیر رشید الدین فضل الله الهمذانی القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م

فاید حماد عاشور (دکتور)

٥٣- العلاقات السیاسیة بین الممالیك والمغول فی الدولة المملوکیة الأولی
دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٦م

فوزی محمد أمین (دکتور)

٥٤- المجتمع المصری فی أدب العصر المملوکی الأول
دار المعارف بمصر ـ بدون تاریخ

محمد أحمد دهمان ٥٥- معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى
(دكتور) دار الفكر بدمشق-ط أ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

محمد أحمد محمد ٥٦- إسلام الايلخانيين
(دكتور) ط أ- ١٩٨٩م شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر بالقاهرة

محمد التونجى ٥٧- التيارات الأدبية إبان الزحف المغولى
(دكتور) الطبعة الأولى ١٩٨٧، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق

حمد جمال الدين سرور ٥٨- دولة بنى قلاوون فى مصر
(دكتور) دار الفكر العربى - مصر - بدون تاريخ

محمد زغلول سلام ٥٩- الأدب فى العصر المملوكى
(دكتور) ج١ دار المعارف بمصر ١٩٧١م

محمد قنديل البقلى ٦٠- الطرب فى العصر المملوكى
(دكتور) القاهرة ١٩٨٤م

مصطفى طه بدر ٦١- مغول إيران بين المسيحية والإسلام
(دكتور) القاهرة - دار الفكر العربى - بدون تاريخ

رابعاً : مصادر فارسية مترجمة إلى العربية

رشيد الدين فضل الله الهمزاني ٦٢- جامع التواريخ
ترجمة د. فؤاد عبد المعطى الصياد، د. محمد موسى هنداوى محمد صادق نشأت القاهرة ١٩٦٠م

شرف خان البدليسى ٦٣- شرفنامه
ترجمة محمد على عونى - مراجعة د. يحيى الخشاب دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى القاهرة/١٩٦٢م

عباس إقبال ٦٤- تاريخ إيران بعد الإسلام
ترجمة د. محمد علاء الدين منصور دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

يحيى بن محمد على الجعفرى (ابن البيبى) ٦٥- مختصر سلجوقنامة
ترجمة د.محمد السعيد جمال الدين الدوحة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

خامساً : مراجع أوربية مترجمة إلى العربية

أرمينيوس فامبرى ٦٦- تاريخ بخارى
ترجمة د. أحمد الساداتى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (بدون تاريخ)

برتولد شبولر ٦٧- العالم الإسلامى فى العصر المغولى
ترجمة خالد أسعد عيسى ط أ/ ١٩٨٢م دمشق

توماس.و.أرنولد ٦٨ - الدعوة إلى الإسلام
ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م - القاهرة

دوروينا كرافولسكى ٦٩- العرب وإيران
دار المنتخب العربى بيروت ط أ - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

دونالدولبر ٧٠- إيران ماضيها وحاضرها
ترجمة د.عبد المنعم حسنين- ط٢ ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م- دار الكتاب اللبنانى- بيروت

ستانلى لين بول ٧١- طبقات سلاطين الإسلام
ترجمة مكى طاهر- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦- الدار العالمية للطباعة والنشر - بيروت

ستيفن رنسيمان ٧٢- تاريخ الحروب الصليبية
ترجمة السيد الباز العرينى- بيروت ١٩٦٩م.

فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد ٧٣ – تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى.
ترجمة صلاح الدين هاشم الكويت ١٤٠١ هـ /١٩٨١م

كي ليسترنج ٧٤– بلدان الخلافة الشرقية
ترجمة بشير فرنسيس/ كوركيس عواد ط ١٤٠٥/٢هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة– بيروت

ماركو بولو ٧٥– رحلات ماركو بولو
ترجمه إلى الإنجليزية وليم مارسدن وترجمة إلى العربية عبد العزيز جاويد الهيئة المصرية العامة لكتاب١٩٩٥م ط٢

ماير ٧٦– الملابس المملوكية
ترجمة صالح الشيتى – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م

م.س. ديماند ٧٧– الفنون الإسلامية
ترجمة أحمد محمد عيسى- تقيم د. أحمد فكرى القاهرة-دار المعارف- ط٣ – ١٩٨٢م

وليم موير ٧٨– تاريخ دولة المماليك فى مصر
ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ط أ / ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م مطبعة المعارف بمصر

سادساً : مصادر فارسية غير مترجمة

حبيب الله شاملونى ٧٩ – تاريخ إيران

ازمادنـا بهلـوى نشـر بنگـاه مطبوعــاتى، طهران ١٣٤٧هـ . ش

وصاف الحضرة ٨٠ – تـاريخ وصــاف المعـروف باسـم تجزيـة **(شرف الدين عبدالله** الأمصار وتزجية الاعصار **بن فضل الله لشيرازى)** طبعة حجرية ١٢٦٩هـ / ٥٢– ١٨٥٣م بومباى

81- Carpini, John of plano, "History of the Mongols" Ed by Ch Dawson, The Mongol Mission (London 1955).

82- Coke, Richard, Baghdad the City of peace, (London, 1927).

83- Dozy (R.) Supplement owx dictionnaires Arabes, No 1, 1-2 (Leiden, Brill, 1967).

84- Genard, F: Gengis –Khan, (Paris, 1935).

85- Howrth, Sir Henry, History of the Mongols (London 1888).

86- Saundrs (J.J.) The history of the Mongol Conquests (London 1971).

87- Sykes, Sir Percy: A History of Perrisia (London, 1963).

ثامناً : الدوريات

د. على السيد على محمود : "الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية فى العصر المملوكى" مقال فى مجلة المؤرخ المصرى التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة العدد ١٥– يوليو ١٩٩٥م – دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية – طبعة دار الشعب ١٩٦٩م.

المحتويات

- المقدمة 5
- التمهيد 15

- ***المبحث الأول***

العلاقات بين المغول والايلخانيين

والمماليك قبل أبى سعيد 23

- ***المبحث الثاني***

سياسة المغول تجاه المماليك زمن أبى سعيد 45

- ***المبحث الثالث***

أثر الاتصال الايلخانى المملوكى

على الحياة الإجتماعية والثقافية... 79

- خاتمة البحث 101
- الملاحق 109
- المصادر والمراجع... 117

رقـــم الايـــداع

٢٠٠٠/١٥٩٦٨

I.S.B.N

977-319-030-7


العربي
للنشر والتوزيع

To: www.al-mostafa.com